الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة كتاب "الشعلة الزرقاء" دراسة في المحتوى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبات:
*- قريني إلهـــــام
*- جامع سمـــــاح
*- بوبريدعة سميـــة

إشراف الدكتورة:
شهر زاد بوسكاية

السنة الجامعية: **2019/2018**

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم لك الحمد يامن علم الأنبياء والمرسلين اللهم لك الحمد يامن علم الملائكة المقربين اللهم لك الحمد يامن علم العلماء العاملين، اللهم لك الحمد يامن علم الأولياء والصالحين اللهم يامؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد ويا قريبا غير بعيد ويا شاهدا غير غائب ويا غالبا غير مغلوب صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

شكر وعرفان

الشكر لله أولا وأخيرا الذي أعاننا في إنجاز مذكرتنا،

ومن ثم كل الشكر والجزيل والامتنان وأسمى عبارات التقدير

والإحترام لأستاذتنا الفاضلة وقدوتنا "شهرزاد بوسكاية " كما

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمن قدم وأمد لنا يد العون في

إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد.

إهداء

إلى من احترقا ليزداد دربي، إلى الذين يعجز اللسان عن تعداد فضائلهما إلى

الذي أعطى وضحى، وكان صبره وحرصه واصراره نبراسا يضيء سيرة حياتي

"والدي الحبيب عبد الحفيظ "

إلى التي بعثت في نفسي الصبر والتفاؤل والأمل للمضي قدما في تحقيق أحلامي

"والدتي الحبيبة صليحة"

إلى كل الإخوة "إيمان، خلود، أيوب، فؤاد"

إلى إبنة عمتي" سماح" لها الشكر الجزيل على ما قدمته لي

إلى كل صديقاتي في الدراسة ومن قضيت معهن أفضل أيام حياتي إلى من

تقاسمت معهما إنجاز هذا العمل: سماح وسمية

إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي إلى أستاذتي "شهرزاد بوسكاية" لها

الشكر الجزيل على ما قدمته لنا

أهدي هذا العمل المتواضع

إلهام

إهداء

إلى كل من كرّسا حياتهما من أجل سعادتي،إلى من بدلا ما في استطاعتهما من أجل الوصول بي لأعلى الدرجات العلمية،إلى والديّ العزيزين ذهبية و عمار أطال الله في عمرهما

إلى اللتين قاسمتاني عناء هذا البحث صديقتي العزيزتين إلهام وسماح.

إلى أعزّ ما أملك في الوجود،إخوتي وأخواتي.

إلى أستاذتي الفاضلة شهرزاد بوسكاية .

إلى كل الأهل و الأصدقاء .

إلى خطيبي فيصل.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي عربون محبة ووفاء.

سمية

إهداء

إلى والدي الكريمين حفظهما الله وبارك فيهما.

إلى كل من دعمني وشجعني وهمّه وأسعده نجاحي.

إلى جميع الأهل والأصدقاء.

ولا أنسى وكيف أنسى أن أهديها إلى من تقاسمتا معي هذا العمل المتواضع إلهام

وسمية.

إلى كل من حمل لي بذرة حب في قلبه.

إلى كل من يعرفني أهدي هده الصفحات.

سماح

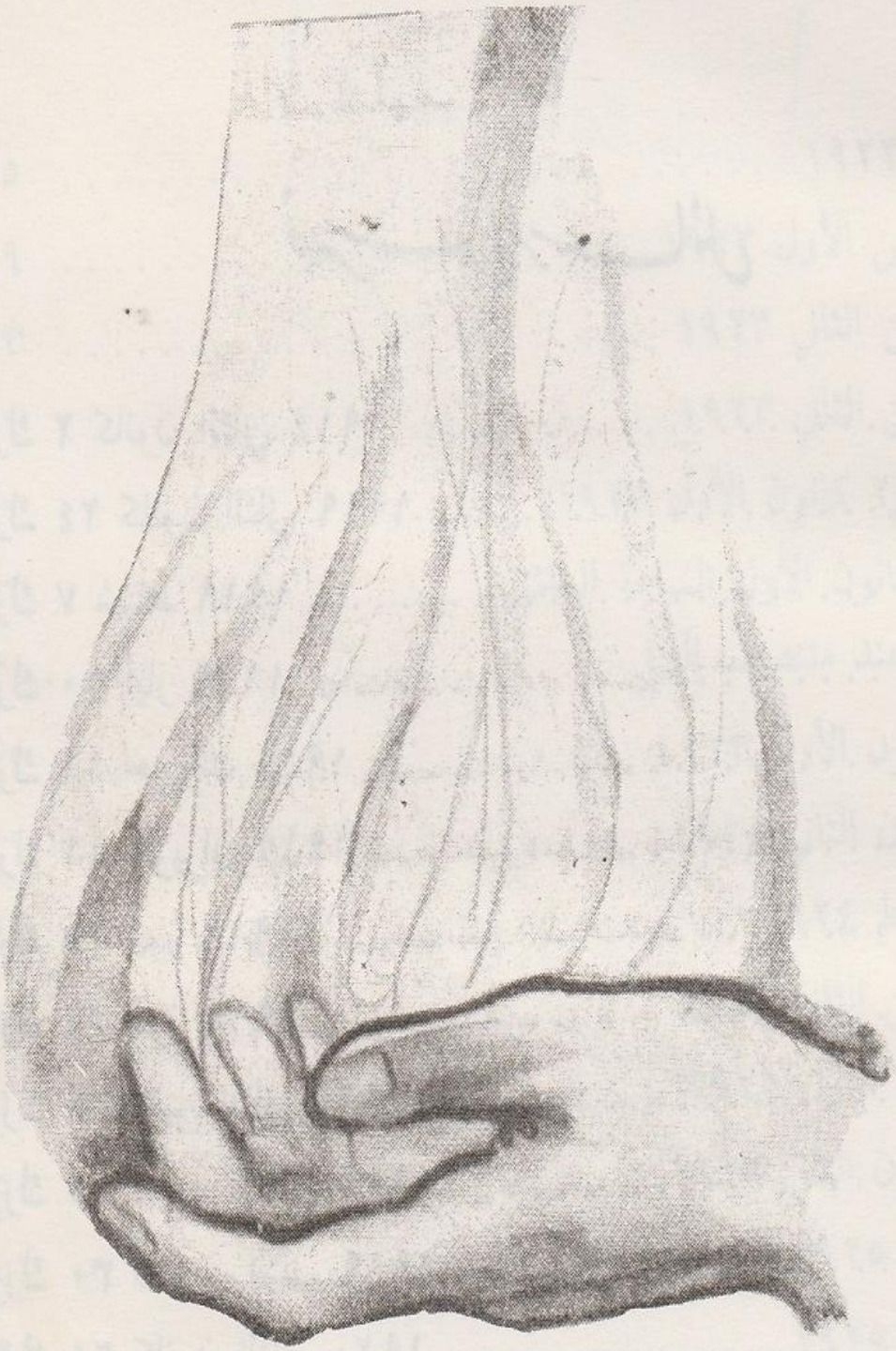

مقدمة

مقدمة:

مع تطور الحياة وارتقاء الأمم العقلي، وتغير نظمها العقلية، والسياسية والاجتماعية واتصالها بغيرها من الشعوب، نشأ عن ذلك أن وجدت فيها أفكارا وآراء لم توجد من قبل، واحتاجت أن تنظم هذه الأفكار والآراء، وأن تطورها وتعلنها، فعجز الشعر عن القيام بذلك فعبر عنها النثر.

وقد عرف الأدب كغيره من آداب فن الترسل، وذلك لحاجة الإنسان إلى التواصل والاجتماع حتى ولو بالكلمة، فظهر عن سبيل ذلك مجموعة من الأدباء العرب الدين اهتموا بهذا الفن ولأن العصر الحديث كغيره من العصور الأخرى قد اعتنى بالكلمة والتواصل مع الآخر لهذا فقد اهتم بفن الترسل الذي انبرى له ثلة من الأدباء مثل: أمين الغريب، محمود درويش، سميح القاسم، ميخائيل نعيمة، وغيرهم من أعمدة الأدب العربي الحديث.

ومن بين هؤلاء الأدباء الذين برعوا في هذا المجال نجد: جبران خليل جبران ومي زيادة اللذين كان لهما باع طويل في هذا النمط الأدبي من خلال مجموعة من الرسائل المتبادلة بينهما، هذه الرسائل التي كانت تحمل في طياتها مساجلات فكرية و روحية ألفت بين قلبين وحيدين مغتربين. ونظرا لأهمية هذه الرسائل وما تركته من اثر في نفسيهما ارتأينا لاختيار هذا الموضوع المرسوم "رسائل جبران خليل جبران لمي زيادة كتاب الشعلة الزرقاء دراسة في المحتوى"

وقد عززت مبررات كثيرة اختيارنا لهذا الموضوع منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي أما الذاتي فيتمثل في الميل والاهتمام بالنثر العربي ولغته، وخاصة أعمال جبران خليل جبران ولغته المفعمة بالأسرار والرموز أما الموضوعي فيتمثل في التعرف على فن الترسل في الأدب العربي هذا الفن الذي لم يلق الاهتمام والدراسة كغيره من الفنون الأدبية الأخرى، كما أن رسائل جبران حسب اطلاعنا لم تنل حظها من الدراسة لدى الباحثين، إلا شذرات متفرقة ولا نعتقد أن ثمة دراسات مستفيضة قد تناولت رسائل جبران خليل جبران ومي زيادة، وإنما تتناول هده الدراسات أعماله الروائية على نحو عام،وهذا ما شد انتباهنا للبحث من خلال دراسة كتاب جمعت فيه الرسائل المتبادلة بينهما وهو كتاب "الشعلة الزرقاء" ليكون نموذجا للدراسة والتمثيل، للوصول لمقاصد هذا البحث والكشف عن مكنوناته انطلاقا من جملة من التساؤلات أهمها: ما

محتوى هذه الرسائل؟ وفيما تكمن الأساليب الفنية الأدبية التي تضمنتها؟ وما الأدوار التي قامت بها الرسائل بين جبران ومي؟ وهل كان لهذه الرسائل أثر في حياة جبران؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي فكان الأنسب لدراستنا وهيكلنا بحثنا وفق خطة تشتمل على:

مقدمة

مدخل

الفصل الأول: "أدب الرسائل" تناولنا فيه الجانب النظري وقد خصص للحديث عن معنى الرسالة لغة واصطلاحا، ثم لمحة تاريخية عن فن الرسالة وفق مراحل مختلفة كما يلي: مرحلة العصر الجاهلي، مرحلة العصر الإسلامي، مرحلة العصر الأموي، ثم مرحلة العصر العباسي، مرحلة العصر الأندلسي، مرحلة العصر المملوكي، وأخيرا العصر الحديث.

وبعدها تم الحديث عن أبرز روّاد الرسائل الأدبية وأخيرا تم الحديث عن أهم أنواع الرسائل كالرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية والرسائل الأدبية.

الفصل الثاني: "دراسة في المحتوى لكتاب " الشعلة الزرقاء". فقد كان هذا الفصل تطبيقيا، تطرقنا فيه إلى دراسة محتوى الرسائل بين جبران خليل جبران ومي زيادة في كتاب "الشعلة الزرقاء"، وكذا الأساليب الفنية الأدبية البارزة في مختلف رسائلهما بالإضافة إلى الفنون والأدوار التي قامت بها الرسائل بينهما.

وانتهى البحث بخاتمة تلخص أفكاره وتجمع خيوطه، وتبرز ما توصل إليه من نتائج.

وخصصنا ملحقين للتعريف بجبران خليل جبران وكان الحديث فيه عن حياة جبران خليل جبران، والثاني يحمل عنوان "مي زيادة" وتناول أيضا جوانب من حياة الأديبة وبعدها قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا ألفبائيا، وفهرس يوضح الموضوعات المدروسة داخل البحث، مع وضع رقم الصفحة أمام كل موضوع.

وقد اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها كتاب "الشعلة الزرقاء" لسلمى الحفار الكزبري وسهيل بديع بشروئي اللذين قاما بجمع رسائل جبران إلى مي في هذا الكتاب الذي يعتبر المادة الخام التي اعتمدنا عليها في بحثنا، وكتاب تأملات في رسائل الأدباء لعبد اللطيف الأرناؤوط، وكذلك بعض الكتب التي تناولت دراسة تاريخ الأدب العربي إضافة إلى ذلك مجموعة من المراجع وبعض المعاجم أهمها: معجم لسان العرب لابن منظور، كما

استفاد البحث من بعض المقالات المنشورة في المجلات التي تعرضت لموضوع رسائل جبران خليل جبران ومي زيادة.

وعلى الرغم من استعانتنا بمراجع مهمة فقد واجهتنا صعوبات جمة تتمثل أساسا في قلة المراجع، وصعوبة الحصول عليها وبخاصة في هذا الموضوع .

وفي الأخير نرى أنه من الوفاء والإخلاص أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد، ماديا أو معنويا في إنجاز هذا البحث، كما نتقدم ببالغ الشكر إلى الأستاذة المشرفة "شهرزاد بوسكاية" تقديرا لم أبدته لنا من ملاحظات تقييمية و نصائح مفيدة أنارت لنا طريق البحث.

مدخـــــــــل

مدخل: نبذة عن الكتاب

لقد تقاسم النثر الفني في العصور القديمة جنسان أدبيان هما: الخطاب والرسائل، فإذا ما ذكر انصرفت الأذهان إليهما دون غيرهما، نظرا لما يتميزان به من حضور متميز وما يتبوآنه من منزلة رفيعة بين أجناس الأدب وفنونه هذا بالإضافة إلى ما قام به من أدوار ووظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والإدارية.

حيث عرفت الفنون النثرية تطورا ملحوظا، وقطعت شوطا بعيدا في مضمار الرقي والانفتاح الكبير على أمم أخرى وتمازج الثقافات، وكما هو معروف فإن الإنشاء رهين برقي الحياة وتطورها، والمتنوعة غرضا ومقصدا والمتفاوتة جمالا وتأثيرا في مقدمة هذه الفنون ازدهارا واتساعا. [1]

ويعتبر جبران خليل جبران من الأدباء الذين أثروا فن المراسلة عند العرب بما تركه من رسائل لفتت نظر الباحثين وأثارت فضولهم، فولجوا عبرها إلى عالم جبران المليء بالرموز والأسرار، ولقد فتح جبران فتحا جديدا ورائعا في دنيا الأدب العربي عندما تحول للتأليف بالإنجليزية حتى لمع اسمه في كثير من الدول الأجنبية[2].

وتعد الرسائل المتبادلة بين الأدبيين "جبران خليل جبران" والأديبة "مي زيادة" نصوصا إبداعية في فن المراسلة الرومانسية، واتجاها جديدا في الأدب العربي الذي عرف الرسالة وأفرز لها تأثيرا وتراثا أصيلا لم يدرس بعد.[3]

وليس من الشك في أن الرسائل التي بعث بها جبران خليل جبران من المهجر إلى سيدة الأدب في المشرق العربي مي زيادة من أجمل ما خطته أنامل الأدباء في سجل أدب الرسائل، حيث كان يفصل بينهما السهول والجبال والصحاري والبحار، وما لا يقل عن سبعة آلاف ميل. "البحار المنبسطة" كما يخبرنا جبران في إحدى رسائله.[4]

فقد اختصرت الرسائل المسافات بينهما وألفت بين قلبيهما.

---

[1]– ينظر: ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، الوصل، 1989، ص 152.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص153.

[3]– عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب، ط4، دمشق،2012، ص250.

[4]– ينظر: من رسالة مي لجبران، المؤرخة في 2 كانون الأول 1920، المنشورة في كتاب "رسائل مي" ص53، للدكتورة جميل جبر، (منشورات مكتبة بيروت، 1951).

الرسائل المخطوطة التي بعث بها جبران خليل جبران لمي زيادة من عام 1914م إلى عام 1930 ثم جمعها بعد وفاته سنة 1913م وهي سنة وفاة جبران، وابتدأت هذه المراسلة بعدما اضطلعت مي على قصة كتبها جبران خليل جبران وهي "الأجنحة المنكسرة"، ثم بدأت بمراسلته تناقشه في أفكار هذه القصة التي كانت تدور حول الزواج وقيوده والحب وأطواره.[1]

كانت مي حريصة على أن تبقى علاقتها بجبران خليل جبران سرية حيث كانت لها رسائل حب لكنها لم تكن تذكر اسمه صريحا، حيث كان مصطفى صادق الرافعي يظن أنها له بينما هي تقصد جبران، وكانت بينهم هذه المراسلات الخاصة التي لم يكن عليها أحد حتى جاءت سنة وفاته 1931م، فجعت به واعترفت بوجود رسائل طويلة بينهما في مقالة لها: جبران خليل جبران يصف نفسه في رسائله، وذكرت بعض الفقرات من رسائله التي كان يرسلها إليها جبران. وعبرت عن حزنها العميق عليه مصورة غربتها وغربته في الوجود بعبارات حزينة موجعة.

وانطلاقا من الحب الشديد الذي تكنه سلمى الحفار الكزبري للأديبة النابغة مي زيادة، وتقديرها لأدبها الرفيع وشخصيتها الفريدة وتعاطفها مع مأساتها ومحنتها التي سببها لها زوجها وعبقريتها، قامت والدكتور سهيل بشروئي أستاذ الأدب العربي الإنجليزي قي الجامعة الأمريكية في بيروت على هذه الرسائل الوثائقية الهامة وقاما بالبحث الدائب والتفتيش الحثيث عن رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، على مدى اثني عشر عاما حتى استطاعت سلمى الحفار الكزبري أن تعثر على أربع وثلاثين رسالة في منزل ابن عمها الدكتور جوزيف زيادة في بيروت [2]، كانت مي ق حملتها من مصر إلى لبنان أثناء محنتها، وحافظت عليها حفاظا على سر مقدس، وكنز ثمين، فقد كانت تصر على أن يبقى حبها طي الكتمان، وكانت تعزيتها الوحيدة هي أن تستعيد قراءة هذه الرسائل الجميلة من حين لآخر، في ساعات خلوتها ووحدتها، فهي ذكرى غالية لحب عاصف اجتاح قلبها فدمرها، لأنه كان حبا صوفيا ضبابيا لم يخرج إلى حيز الواقع، لكن مي

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 54.
[2]- ينظر : المرجع نفسه، ص 59.

اعترفت لقرائها بوجود مراسلة طويلة بينها وبين جبران خليل جبران بعد مضي شهر من وفاته سنة 1931م[1]

عكفت السيدة سلمى الحفار الكزبري والدكتور سهيل بشروني على هذه الرسائل الوثائقية الهامة فحققاها تحقيق علميا جيدا، وشرحا في هوام شرها جميع أسماء العلام التي وردت في متونها، ووضعا لها مقدمة مسهبة ألقيا فيها الأضواء على الحب الخالد المتبادل بين جبران ومي، ودرساها دراسة دقيقة تدل على فهمها وقدرتهما الفائقة على التحليل والتعليل والاستنباط واختار لها عنوان "الشعلة الزرقاء"، وهي الشعار الذي كان جبران خليل جبران ق(د رسمه لمي في أكثر من رسالة واتخذ رمزا لهذا الحب، وقد ترجمت إلى عدة لغات وأعيدت طباعتها عام 1996، أكثر من مرة.

سمي هذا الكتاب بالشعلة الزرقاء بعدما ألهمت الرسالة الأخيرة جامع الكتاب لهذه التسمية، وقد كانت هذه كناية عن لوحة ليد مبسوطة تخرج منهما شعلة زرقاء مرسومة بريشته وكتب بجانبها من جبران إلى ماري، وتم تأريخها بتاريخ 26 آذار 1931م.

مما يعني أنهاّ آخر ما خطه جبران خليل جبران قبل وفاته بأسبوعين وكأنه يقول ويؤكد بأن شعلتهما لن تنطفئ أبدا.[2]

يقسم كتاب الشعلة الزرقاء إلى قسمين، القسم الأول: 241 صفحة ويضم الرسائل المطبوعة حسب تسلسلها التاريخي من عام 1919 إلى عام 1920م، وفي أعلى كل رسالة تاريخ كتابتها ومصدرها إما بوسطن أو بنيويورك، والقسم الثاني 102 صفحة، ويضم الرسائل المخطوطة والرسوم واللوحات والبطاقات البريدية التي كان يبعثها جبران إلى مي، بالإضافة إلى رسمه الشخصي بقبعته الأمريكية ولبسه الأبيض، وكانت غايته من هذه الرسوم أن يعبر لها عن مهارته الفنية، وأن يسمو بذوقها الفني وهي تديم النظر إلى ما تركه عباقرة الفن من آثار بالغة الجمال.[3]

---

[1]– ينظر، عيسى فتوح، سلمى الحفار الكزبري الأديبة المتفوقة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات الطفل، دمشق، 2014، ص19.

[2]– ينظر: سلمى الحفار الكزبري، الشعلة الزرقاء،دمشق، وزارة الثقافة، 1989، ص 281.

[3]– ينظر: عيسى فتوح، على هامش كتاب الشعلة الزرقاء، رسائل جبران إلى مي زيادة، مجلة البصرة، العدد الخامس، مكتبة العلامة ميخائيل عواد، المركز البغدادي الثقافي، 191، ص 30، 31.

من خلال الرسائل يتبين لنا أن الحب الذي نشأ بين جبران خليل خبران ومي زيادة حب فريد لا مثيل له في تاريخ الأدب، أو في سير العشاق، فهو مثال للحب النادر المتجرد عن كل ما هو مادي وسطحي، حيث دامت تلك العاطفة بينهما زهاء عشرين عاما، دون أن يلتقيا إلا في عالم الروح والفكر، والخيال الضبابي، فلم يكن حب جبران وليد نظرة فابتسامة فسلام فكلام، بل كان حبا نشأ ونما عبر مراسلة أدبية طريفة، ومسجلات فكرية وروحية ألفت بين قلبين وحيدين، وروحين مقتربين، ومع ذلك كانا أقرب قريبين وأشفق حبيبين.[1]

إن علاقة جبران ومي علاقة فريدة في تاريخ الأدب العربي فقد شبهه البعض بالحب السماوي الذي يلحق فضاء الفكر، ووصفه البعض بأنه لم يمكن إلا محض خيال أو وهم جميل عاشه اثنان، باعتبار مي وجبران لم يلتقيا ببعضهما على أرض الواقع ولو لمرة واحدة، فكل مقابلاتهما كانت عن طريق القلم والأوراق، والبريد كان الوسيط بينهما، مرسال العشاق كانا لشاهد على قصته حبهم التي تبدو للناظر إليها من بعيد أسطورية.

من خلال مقدمة كتاب الشعلة الزرقاء تظهر العلاقة المتوترة لهذه العلاقة الغريبة فبين آمال مي ومراد جبران كانت هناك مساحة جعلت هذه العلاقة تتصل وتنقطع مرات عديدة. [2] فلم تكن المراسلة بينهما مستمرة فقد تخللتها فترات انقطاع تتجاوز أحيانا السنتين، وكان الحب المتبادل بينهما صوفيا، ساميا وعميقا بل بدا كل واحد منهما يبحث عن الحب في قلب الآخر، وتأتي هذه العلاقة في إطار فلسفة الوجود التي تبناها جبران، فهو يقول لمي: « الأفضل أن تبقى هنا، في هذه السكينة العذبة، هنا نستطيع أن نتشوق حتى يدنينا الشوق من قلب الله »

تقول مقدمة الكتاب موضحة أسباب هذا التوتر «ترى هل كانت مي تنتظر قدوم جبران إليها، أو دعوته للقائها في أوروبا؟ ما من شك في أنها كانت راغبة لقائه، منتظرة قدومه بشوق كبير، فطالما دغدغ أحلامها.»[3]

---

[1]– ينظر: سلمى الحفار الكزبري، الشعلة الزرقاء، ص 11.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 12.

[3]- ينظر، المصدر نفسه ، ص 11.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص20 .

ونقول هذا استنتاجا، لأن معرفتنا بطبيعة المرأة التي تحب، ولا سيما الشرقية المحافظة، تمنعها من المبادرة، وتجعلها تنتظرها من الرجل، أما دليلنا الثاني فهو عزوف مي عن الزواج...، لقد عبر جبران عن رغبته في السفر إلى القاهرة عدة مرات في رسائله إليها، ولكنه لم يبرح مكانه[1].

لم يكن هذا اللون من الحب غريب عن تراثنا العربي فقد شبهه البعض بالحب السماوي الذي يلحق فضاء الفكر، فهو حب عذري يقوم على الحرمان والعفة الذي يسببه البعد، فحبهما امتداد لذلك الإرث العربي الذي حصن كل واحد منهما من التبذل وغرزت لديهما القيم السامية التي تتخطى الزمان والمكان.[2]

مي زيادة اسم اختارته تلك المرأة القلقة التي تبدو كالبحر تارة، هادئة وشفافة وأخرى ثائرة، أظهرت مي مواهب استثنائية في النقد والأدب والصحافة، حولت دارها في القاهرة إلى صالون أدبي، حيث وصفت بأنها أديبة مرفهة الشعور، ومنطقية النزعة، امرأة متمسكة بالتقاليد الشرقية، كانت حريصة على سمعتها في المجتمع، نشأت في بيئة متدنية محافظة، تعيب على الفتاة البوح بعواطفها، وتعد مي أسطورة الحب في القرن العشرين، فقد أحبها العقاد والرافعي وطه حسين...، إلا أن علاقتها بهم لم تتجاوز حدود الصداقة رغم التحريف الذي ألحقه بها ببعض الذين كتبوا عنها بعد موتها بغية إثارة وجدب القراء، وأما علاقتها ببعض الكبار المعاصرين فحديث آخر، وليس بمقترب أن يكون قد أ غرم بها من عرفها عن الكتب وتأثر بها وبمزاياها الكثيرة وجاذبيتها الشخصية وحديثها الساحر[3]

في عام 1921م، أرسلت لجبران صورتها،فأعاد رسمها بالفحم، وأرسلها إليها واكتشفت بسعادة أنها امرأة مليئة الوجه ذات شعر بني قصير، وعينين لوزيتي الشكل يعلوهما حاجبان كثان، وشفتين ممتلئتين، فهي تجسد الأنوثة الشرقية.[4]

وفي عام 1924م، أرسلت له تعرب له عن حبها، وعبرت له عن خوفها من الحب، وأعاد جبران مراسلتها، وبعد أنه اختار التراجع لانقاد حريته ووقته، فهذه العلاقة تتطلب

[1]- ينظر المصدر السابق، ص 21،22.
[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 12، 13.
[3]- ينظر، المصدر نفسه، ص18
[4]- ينظر، المصدر نفسه، ص 6.

منه ومنها تضحيات كبيرة، أدركت مي حينها مرارة سوء التفاهم بين رغبتها وفكرة جبران عن علاقتهما، وأسفت أنها كانت على هذا القدر من الصراحة والمباشرة[1].

إن الرسائل التي بعث بها جبران لمي زيادة رسائل مؤرخة ولذلك فهي توثق هذه العلاقة كيف ابتدأت بمناقشات فكرية ثم صداقة، ثم صداقة حميمة ثم حب، والجميل في هذه الرسائل أنها لم تكن فقط تعبير عن مشاعر إنما كانت تحمل جزء من شخصية جبران والذي كان يحكي لها أشياء عن حياته، لم نستطع الإطلاع عليها ومعرفتها إلا من خلال هذه الرسائل التي دارت معظمها حول مناقشات فكرية أدبية تخص مؤلفاتهما أو مؤلفات غيرهما من الأدباء، والقسط الوافر منها كان رسائل حب غير مصرح به من كليهما، وظل الحال كذلك حتى اعترفت مي بحبها لجبران وهي في الخامسة والثلاثون من عمرها.

إن رسائل جبران خليل جبران تتدرج في نتاجه الأدبي، وتلقي أضواء على نفسيته ومواقفه الإنسانية والوطنية، وحتى الاجتماعية فما أجدرها أن تجمع في كتاب واحد بعد أن توزع نشرها في عدد من الكتب، وظل بعضها طي الكتمان في أيدي المتاجرين بها ودفع الإهمال ببعضها إلى الغياب الأبدي.

رغم كل شيء، استمرت مراسلتها متباعدة حتى وفاة جبران لتبقى واحدة من الأخصب و الأجمل في الأدب العربي.

[1]-ينظر: المصدر السابق، ص8.

الفصل الأول: أدب الرسائل

المبحث الأول: الرسالة بين اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن فن الرسالة

المبحث الثالث: رواد الرسائل الأدبية

المبحث الرابع: أنواع الرسائل

المبحث الأول: الرسالة بين اللغة والإصلاح.

إن الرسائل شكل من أشكال النثر، وفن من الفنون الأدبية البارزة في المجتمع، والرسائل شأنها شأن الفنون الأخرى، تسعى إلى التغيير والتطوير، فالرسالة مرتبطة بتحضر المجتمع ووجوده، لذا كان لها أهمية باللغة عبر العصور وكان للرسالة اضطراب في التحديد الدقيق لمفهومها، وهذا راجع إلى تعدد الآراء حولها، واختلاف وجهات النظر لدى العديد من الدارسين.

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة(ر، س، ل)، « رسل، الرسل، القطيع من كل شيء، والجمل إرسال والرسل: الإبل(...)، والرسل قطيع بعد قطيع، وترسل في قراءته اتأد فيها، وفي الحديث، كان في كلامه ترتيل، ترسيل، يقال ترسل: الرجل في كلامه ومشيته، إذ لم يعجل، وهو الترسل سواء، وفي حديث عمر رضي الله عنه، إذا أدنت فتر سلك أي تأن ولا تجعل (...) [1]، وعن المرجع نفسه : والترسل: من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتوقر والتثبت، وجمع الرسالة واحد، قيل وهو التحقيق بلا عجلة(...)، والإرسال: التوجيه ويقال تراسل، القوم أرسل بعضهم إلى بعض.»[2]

وجاء في معجم الوسيط،" رسل البعير رسلًا، ورسالة: كان رسلا، والشعر رسلا أي طويلا مسترسلا، وأرسل الشيء أطلقه من غير قيد، والرسول بعثه برسالة، وتراسل: القوم أرسل بعضهم إلى بعض رسولا، أو رسالة، وترسل، تمهل وترفق ويقال ترسل في كلامه وقراءته ومشيته، واسترسل: الشعر كان بسيطا(...) والرسالة ما يرسل" [3]، وجاء في التنزيل العزيز قوله تعالى:

« ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا »

مريم83

أما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس فيعرفه بقوله: « رسل: الراء والسين واللام، أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد».[4]

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد1، ر صادر للطباعة والنشر، مادة(ر، س، ل) بيروت لبنان، ص 70،

[2]- المرجع نفسه ص، 71.

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار الدعاء، اسطنبول، تركيا،1989، ص 344.

[4]- ابن فارس، مقاييس اللغة، الجزء2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، تحقيق عبد السلام هارون، ص 392.

وكفانا صاحب" البرهان" مأمونة التنقيب عن المعنى اللغوي لجنس " الرسالة" فهي المعاجم اللغوية، إذ حدّد أصل اشتقاقها ومعناها بقوله: « والترسل من ترسلت أترسل ترسلا، وأنا مترسل، كما يقال: توقفت بهم أتوقف توقف، وأنا متوقف، لا يقال: ذلك إلا فيمن تكرّر فعله في الرسائل، كما لا يقال تكسر إلا فيمن تردّد عليه اسم الفعل في الكسر، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة، أرسل يرسل، إرسالا، وهو مرسل، والاسم الرسالة، أو راسل مراسل مراسلة، وهو مراسل، وذلك إذا كان هو من يراسله وقد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك.»[1]

فالرسالة اسم مشتق من راسل يراسل مراسلة، ويطلق على الكلام الذي يراسل به من بعد وغاب، واشتق منه اسم" الترسل"، ومنه سمي صاحبه" مترسل" وهو من عرف بهذا الفن واشتهر به[2]

وانطلاقا من المفاهيم اللغوية المطروحة حول الرسالة يتبين لنا أن كل المعاني والدلالات التي وردت في مختلف المعاجم في تعريفها للرّسالة تتفق وتجمع في معنى واحد وهو الدلالة على الانبعاث والانبساط مع الرفق والتمهل والتأن.

ب- اصطلاحا:

إن الدّارس للأدب العربي لا يجد مفهوما محددا للرسالة، وهذا راجع لاختلاف وجهات النظر حولها، ومن ذلك نجد تعريف ابن خلدون الذي يعرفها بقوله:" تعني المخاطبات لمن بعد عن السلطة وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنها"[3]

في هذا التعريف ربط ابن خلدون مفهوم الرسالة بالرسائل السياسية التي توجه إلى الملوك والخلفاء.

تطرق حسين علي محمد هو الآخر لمفهوم الرسالة لقوله: " فن من الفنون النثرية، القولية عرفها العرب منذ القدم، وهي مثل الفنون النثرية الأخرى كالقصة، المسرحية، والسيرة...لها خصائصها المميزة تجعلها فنا قائما بذاته"[1]

---

[1]- مصطفى البشير قط، مفهوم النشر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 118.

[2]- المرجع نفسه ص نفسها

[3]- عبد الرحمان محمد الخضرمي ابن خلدون، المقدمة، دار البيان العربي، الطبعة الأولى بيروت ، لبنان، 1958، تحقيق عبد الواحد علي واقف، ص 42.

وبذلك فإن فن الرسالة معروف منذ القدم، شأنها شأن الفنون النثرية الأخرى.

كما نجد المحدثين بدورهم اهتموا بهذا الفن إذ قاموا بتعريف الرسالة نذكر منهم:

جبور عبد النور الذي عرف الرسالة بقوله:" هي ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأنق، وقد يتوخى حين البلاغة، والغموض على المعاني"الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع" [2]

من خلال هذا الطرح يتضح لنا أن الرسالة وسيلة تخاطب تقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يشترط فيها الجودة والإتقان بغية الوصول إلى المستوى الرفيع.

كذلك نجد أن الآداب غير العربية هي الأخرى تناولت أدب الرسائل واهتمت بتعريف الرسائل ونقتصر هنا على بعض التعاريف المختصرة للرسالة نذكر منها: «الرسالة تواصل مع الآخر وتعبير عن الذات الكاتبة مغالبة منها للبعد والغياب. » ومنها كذلك: « الرسالة وسيلة اتصال بين صديقين غائبين »، وأيضا: « الرسالة هي محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين»[3]

ويبدو من خلال هذه التعريفات المختصرة للرسالة، أن الرسائل مهما اختلفت اللغات التي كتبت بها فإن القصد بها هو التواصل بين الأشخاص عن طريق الكتابة.

من خلال ما سبق نستنتج أن فن الرسالة فن قائم بذاته له أصول وقواعد يعرف بها، فهو صناعة لا يجيدها إلا من كان له دراية وخبرة تمكنه من إتقان هذا الفن.

ولقد عرف هذا المفهوم تباينا بين القديم والحديث.

---

[1]- حسين علي محمد، التحرير الأدبي، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية، مكتبة العبيكان، ط 6 ، الرياض 2005، ص 151.

[2]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1972، ص 122.

[3]- آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب، "النص والخطاب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1، 1424، هامش 1، ص 103.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن فن الرسالة:

إن الأدب العربي عرف ألوانا من النثر الفني، تميزت بخصائص كما لا يخفى على أحد، وأن المنثور من كلام العرب متنوع منه الخطابة، والترسل والمقامة، والمقالة ولكل نوع من هذه الأنواع مواضيع يستعمل فيها وتختص به دون غيره من أشكال التعبير الأخرى، وفن الرسالة من هذه الفنون، انتشر وأوجد ازدهاره في القرنيين الثالث والرابع الهجريين خاصة عندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمة العطاء، والوقوف على مراحل نشأة وتطور هذا الفن ساعد على أخذ فكرة جلية عن وجوده عند العرب عبر العصور وكيف حاز على هذه المكانة السامية بين فنون النثر، وكيف انتهى إلى هذه المكانة المرموقة ، والدرجة الرفيعة في مراحل الترسل الزاهية وهذه المراحل هي:

- مرحلة العصر الجاهلي.
- مرحلة العصر الإسلامي
- مرحلة العصر الأموي
- مرحلة العصر العباسي
- مرحلة العصر الأندلسي
- مرحلة العصر المملوكي
- مرحلة العصر الحديث.

إن هذه المراحل المختلفة والمتتابعة شكلت مواقف مهمة في تاريخ الأدب العربي والنثر العربي إلى أن وصل إلى المرحلة التي استقر عليها ونضج فيها.

أ- العصر الجاهلي:

تمثل الرسالة أحد فنون النثر الفني، وقد وجدت في العصر الجاهلي غير أنها لم تكن واضحة للعيان، لأنها كانت مربوطة بالكتابة وكانت الكتابة في المشرق قليلة في هذا العصر.

كانت نصوص الرسائل في العصر الجاهلي وثيقة الصلة بالنثر الفني العربي وهي من أقدم المدونات ومن أكثرها أهمية واستحقاقا للتدوين، وقد كانت الكتابة في العصر الجاهلي على قدر ضئيل من الانتشار فليس هناك تعليم منظم إضافة إلى أنه مكان يكتب في العصر الجاهلي لم يكن يحسن الكتابة بل كان يبدل وقتا طويلا في عديد من

الأسطر ينكب عليها فلا يفرخ منها إلا وقد أفرغ الجهد معها. [1] أي أن الرسالة في العصر الجاهلي لم تكن واضحة المعاني، لأن الكتابة كانت غير موجودة إلا نادرا، وإن وجدت بعض الرسائل النثرية في هذا العصر فهي لا تخلو من بعض الهفوات، وقد كتبت على أدوات الكتابة الموجودة في ذلك العصر[2]

إن بدور النثر الفني كانت موجودة حيث كان السجع موجودا في عبارات الكهان، وبعض خطائبهم، وربما كانت في طور الإثبات ، فهناك من يقول: « إن فهم الترسل في الأدب الجاهلي اتصفت رسائله في الإيجاز والبساطة في التعبير دون صيغة لفظية، كرسالة المنذر الأكبر إلى كسرة أبو شروان ورسالة عبد العربي بن قيس الكلبي إلى قومه »[3]. فالرسائل المدونة في العصر الجاهلي قليلة جدا، يغلب عليها الإيجاز والاقتضاب والتركيز، مع سهولة اللغة ووضوح العبارة.

ومعظم البحثين يرون أن العصر الجاهلي لم يعرف من الكتابة غيرها دونا من بعض المعاهدات والأحلاف والعقود التجارية«أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر ولم تصل إلينا منه أية شواهد كتابية فنية إلا في فترة زمنية متأخرة في لعصر العباسي وما بعده» [4]

إن الرسائل في هذا العصر لم تكن مزدهرة أو متداولة بما فيه الكفاية على الرغم من أنها كانت تغلب عليها الإيجاز والاقتضاب والتركيز، مع سهولة اللغة والوضوح في العبارة.

ب- **في العصر الإسلامي:**

تنوعت فنون النثر واتسعن مجالاته وكثرت أغراضه، خلافا لما كان عليه النثر الجاهلي، فبعد ما كان فنا يكاد يكون عفويا يستجيب للأغراض السياسية والاجتماعية والدينية، محدودة ومصطبغة بصيغة البداوة، نجده في العهد الإسلامي فنّا يتألق وينشأ حرا طليقا في أحضان الحياة الإسلامية، فظهر أدب الرسائل حيث تناول موضوعات عديدة: الشكر والتهنئة والاستعطاف والترحم[5].

---

[1]- خالد الحلبوني، فن الرسالة النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة، دمشق، سوريا، د ط، د، ت ، ص 21، 22.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ص، 23.

[3]- أمل داعوق سعد، " فن الرسالة عند مي زيادة "، دار الأفاق الجديدة بيروت ط1، 1986، ص 29.

[4]- علي جميل مهنا" الأدب في ظل الخلافة العباسية"، ط1، 1981، ص 223.

[5]- ينظر: عمر عروة النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلامه دار القصبة للنشر والتوزيع.د ط، 2000، ص 27.

ونلمس من خلال هذا الطرح أن فن الرسالة في العصر الإسلامي كان صورة حية لمختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والعقائدية بكل ما فيها حيث اتسمت الرسائل في هذا العصر بأسلوب الترغيب والترحيب والترهيب والمزاوجة بينهما من أجل نشر معالم الدين الإسلامي والدعوة إليه.

وعند مجيء الإسلام أخذت الرسائل منحى آخر، إذ أنها كانت موازية للرسالة المحمدية ودافعة لها، ولقد حملت في طياتها المصطلحات الدّالة على الدين الإسلامي لتأثر كتابها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[1].

لقد تضمنت مجمل الرسائل في العصر الإسلامي الدعوة إلى الإسلام، والإيمان بالله عز وجل ونشر الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق، كما أن هناك بعض الرسائل كتبت بهدف التعليم، ومن ذلك رسالة كتبها أهل المدينة المنورة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونه فيها إلى أن يبعث إليهم قوما يفقهونهم في الدين، جاء فيها: « ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن»[2]

تعد الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أجل نشر الدعوة الإسلامية البذرة الأولى لظهور الرسائل الديوانية لأنها صدرت عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت أغلب هذه الرسائل موجهة إلى الحكام والأمراء والملوك، وان موضوعها الدعوة الإسلامية والتوحيد الخالص لله و الإيمان به وبما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا نجد الرسالة التي وجهها النبي إلى هرقل يقول فيها: « إني دعوتك بدعاية الإسلام»[3]، وأيضا في رسالته التي وجهها إلى النجاشي يقول فيها: «سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني رسول الله»[4]

ومن رسائله صلى الله عليه وسلم أيضا العهود والمواثيق كالعهد الذي أبرمه صلى الله عليه وسلم بين الأنصار واليهود في المدينة وكالمعاهدة التي وضعها الرسول بينه وبين قريش لوقف الحرب عشر سنين.

---

[1]- المرجع السابق، ص 28.
[2]- خالد الحلبوني فن الرسالة النثرية في العصر العباسي، ص 23.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها 23.
[4]- ينظر: حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 23، 24.

والحق أن أغلب الرسائل التي وجدت في هذا العصر كانت تدعوا إلى التمسك بالدين الإسلامي والإيمان بالله عز وجل وبما انزله والدخول في تعاليمه، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، كما تميزت بتأثيرها الواضح بأسلوب القرآن، إضافة إلى إيجازها والتأنق البلاغي فيها والأسلوب مع الفصاحة والابتعاد عن الغرابة حيث كانت مجمل الرسائل ذات طابع ديني.[1]

ج- في العصر الأموي:

وبعد تحدثنا عن الكتابة وما ظهر فيها من ترسل في المراحل السابقة نقول: أن المرحلة الأموية وبحكم غزارة الترسل فيها تحتل الصدارة في تاريخ الترسل العربي.

حيث شاعت الرسائل في العصر الأموي وعرفت بمختلف أنواعها فقد تعددت مجالاتها بتعدد مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية.

فقد زادت العناية بالكتابة لاتساع أعمال الخلفاء وكثرة شؤون الحكم وتعد الدواوين فقد زاد معاوية على ما كان منها في عهد الخلفاء الراشدين، حيث أنشأ ديوان الرسائل وديوان الحاكم، وديوان الخراج، وهذا مما ساهم في نشر الكتابة الفنية وتوسعها وبلوغها شوطا كبيرا لم يسبق مثله في العصور السابقة.[2]

وقد تميزت الكتابة في هذا العصر بالعديد من الخصائص الفنية، فبعدما كانت تتميز بالبساطة والسهولة والإيجاز والوضوح في العهد الأول، وهو من الوليد بن عبد الملك، أخذت بالتطور والنمو في العصر الثاني، صناعة لها أصولها وقواعدها حيث تميزت بإشراقه البيان والصنعة والإقتاب ، حيث كانت الكتابة على أيدي الكتاب المثقفين بثقافة غربية واسعة كأبي العلاء سالم، كاتب هشام الذي نقل الكتابة إلى مرحلة جديدة واحتلت بهذا المرتبة الرفيعة.[3]

بلغت الرسالة درجة كبيرة في هذا العصر الأموي وأصبح لها طابع خاص بها، حيث أصبح يجيدها العديد من الكتاب وأنشأت لها الدواوين التي ساعد على تنظيم الحياة السياسية وهذا دليل على تطور فن الرسالة واتساع آفاقها في هذا العصر.

---

[1]- ينظر: عمر عروة، النثر الفني القديم، أبرز فنونه وأعلامه، ص 43.

[2]- ينظر: عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي تاريخه في العصر الأموي والعباسي دار الجيل، بيروت لبنان، د ط، 1990، ص 226.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص 268.

لقد انقسمت الرسائل في هذا العصر إلى عدة أقسام منها الرسائل الديوانية وهي الرسائل التي تصدر عن ديوان الرسائل، فهي على هذا الأساس رسائل رسمية، وهي تتعلق بالتنظيم و الإدارة، ومن موضوعاتها مكاتبة العمال والولاة في الدولة وملوك الدول الأخرى وأمرائها من أمثلتها ما بعثه المهلب من صفرة إلى الحجاج بن يوسف يصف له ظفره بالخوارج، قال: « أما بعد، فقد كانت من أمرنا ما أغنت عن تفصيله، وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين يسرنا منهم أكثر مما يسوؤهم منا أكثر مما يسرهم على شدة شوكتهم واجتماع كلمتهم... »[1]

ومن الرسائل المهمة أيضا: رسالة مروان بن محمد إلى ولي العهد كتبها عبد الحميد كاتب له، وذلك حين وجهه والده مروان بن محمد إلى محاربة الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي، وتقع الرسالة في أربعين صفحة، وتنم عن تفكير صاحبها المنطقي والمنظم، وهي أطول رسالة أثرت في عصر بني أمية.[2]

وبهذا أصبحت الرسائل قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة ذات أصول وقواعد، وأصبح للرسالة مطالع فيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الدين تصدر عنهم أو توجه إليهم، ولها خواتيم تختلف بحسب ذلك وظل الترسل في العصر الأموي في أغلب الأحيان فنا رسميا يتعلق بأمور الدولة.[3]

وبهذا يمكن القول أن الرسالة في العصر الأموي ظلت تتطور وأصبح لها خصائصها ومميزاتها واتساع آفاقها حتى أضحت صناعة فنية ذات قواعد وأصول على يد الكثير من الكتاب أمثال عبد الحميد وابن العميد.

د- في العصر العباسي:

تدور الأيام وتسقط راية بني أمة، وترتفع راية بني العباس، وتستقر أمور الدولة، وينعم الناس بالحضارة، والثقافة، وترف الحياة ورغد العيش، وتكثر الحاجة إلى الكتاب والأدباء والشعراء لتلبية مطالب الحياة الناعمة، وينظم كتاب الدواوين على مسرح الحياة، ويتصفون بالثقافة الواسعة، وعمق أفكارهم، وترتيب معانيهم ترتيبا دقيق، ووقفوا على

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 40.
[2]- المرجع نفسه، ص 41.
[3]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1969، ج1، ص 375.

الألفاظ المتغيرة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة ، وعلى الجيد، والتنميق اللفظي الذي وجد في عباراتهم بما كان لترف الحياة وبذخ العيش أثر في ذلك.[1]

يعد النثر العباسي نثر امتزجت فيه الثقافات الأجنبية المختلفة من يونانية وفارسية وهندية وغيرها، كما أنه كما أنه قد اشتهر كثيرون في هذا العمل"النثر"، وفي مقدمتهم ابن المقفع صاحب كتاب كلية ودمنة، أما صورة الرسالة في هذا العصر فقد تنوعت مابين رسائل ديوانية ورسائل إخوانية، غير أن الأولى كانت كثيرة ومتنوعة لتنوع الدواوين في العصر العباسي، فكان ديوان الخراج وديوان نفقات، وديوان الضياع وديوان الرسائل وغيرها.[2]

تنوعت الرسائل في العصر في العصر العباسي وأدت تتطور شيئا فشيئا، فقد كانت لها مكانة مرموقة، وأهمية كبيرة بين فنون الأدب، فالرسائل سارت خطوات في سلم التطور، حيث زحفت بالسجع والجناس والإطناب حتى صارت أقرب بالشعر منها إلى النثر، لأنها تناولت أغراضا وموضوعات شبيهة بموضوعات الشعر في المدح والهجاء والعتاب مع الميل إلى الأساليب الإنشائية كالتطويل والإطناب[3].

كان العصر العباسي حافلا بالكتاب والدواوين، وكانوا يعطون للكاتب أهمية كبيرة ومكانة عالية، فهم يعتبرون بمثابة لسان حال الأمة والدولة والمجتمع، وقد نشطت الكتابة الديوانية في هذا العصر نشاطا واسعا، توافر عليها الكثير من أصحاب الأقلام، يحدوهم في ذلك ما كانت تذره عليهم من أرزاق حتى أصبحت في هذا العصر الجسر الذي يصل من خلاله الكاتب إلى أرفع المناصب، والناظر لموضوعات الرسائل الديوانية في عصر بني العباس يلاحظ أنها تتناول تصريف أعمال الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم، أما من حيث الأسلوب فنجد أنها خالية من التهويل والمبالغات والخيال الخصب إلى حد كبير، وهذا في أول الأمر.[4]

---

[1]- ينظر: عمر الدقاق، ملامح النثر العباسي، دار الشرق العربي، ص 30

[2]- ينظر: شوقي ضيق، تاريخ الأدب العربي، في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1975، ص 550، 551.

[3]- عمر عروة: النثر الفني القديم، أبرز فنونه وأعلامه، ص 53.

[4]- أسماء عبد الرؤوف عطية الله، الرسائل في العصر العباسي، أنواعها وخصائصها الفنية، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، 2009، ص 29.

ومن أشهر كتاب العصر العباسي ابن المقفع ويحي بن خالد بن برمك وهؤلاء من مشاهير العجم الدين أناروا الثقافة العربية بآدابهم، الأمر الذي أدى إلى نبوغ الكثير من الكتاب نذكر منهم: سهيل بن هارون، أحمد بن إسماعيل، إبراهيم بن المدبر، وفي ذلك يقول: ابن المقفع:«إن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي لتخيّره »، وقد تطورت الرسائل في العصر العباسي الثالث بفضل ابن الحميد فقد استخدموا السجع وذلك باعتباره ثمرة من ثمرات التألق في الأعمال الفنية بالإضافة إلى الجناس والبديع الذي يكسب العبارة رونقا، واستخدم الخيال الشعري.[1]

ومن أهم رسائل هذا العصر نذكر رسالة ابن الحميد إلى عبد الله الطبري: «كتابي إليك وأنا بحال لو لم ينقصها الشوق إليك، ولم يرتق صفوها النزوع نحوك لعددتها من الأحوال الجميلة وأعددت خطي منها في النعم الجليلة، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة، وحظيت منها جسمي بصلاح وفي سعي بنجاح... »[2]

وتعد هذه الرسالة من أهم الرسائل الإخوانية التي ازدهرت كثيرا، أين أصبح الأدباء يتداولونها في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم فنجد مواضيعها نختلف من شخص لآخر أو من كاتب لآخر، فنجد بعض الكتاب يكتبون رسائلهم الإخوانية في الخوف والرهبة والرغبة والمديح والهجاء والشوق، والقارئ لرسالة ابن العميدً يلاحظ أنها متسلسلة الأفكار ومعانيها تعبر تعبيرًا واضحًا عن المعنى المنشود، كما نلمس أن الكاتب اهتم بالمحسنات البديعية، فالكاتب يصف إحساسه وشوقه لصديقه بعبارات جميلة وخط أنيق وهذا دليل على إخلاص ووفاء الكاتب اتجاه صديقه.[3]

ومجمل القول، أن هذه الرسائل بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع العباسي بمختلف طبقاته، فقد نافست بمجلاته، فأصبح بنو العباس يهتمون بهذا الفن النثري الذي أضحى يتناول مختلف مواضيع ومجالات العصر العباسي.

في العصر الأندلسي:

كان أهل الأندلس أكثر اهتماما بالنثر الفني على عكس المستشرقين لذلك شهدت الرسالة عندهم تطورا ملحوظا، سواء في بنيتها أو في المواضيع التي عالجتها، مما تسبب

[1]- عمر عروة، النثر الفني القديم، ص 107، 108.
[2]- ينظر,المرجع نفسه،، ص 108.
[3]- ينظر: أسماء عبد الرؤوف عطية الله، الرسائل في العصر العباسي، ص 99.

في طفرة نوعية للرسائل، فكثر كتابها حيث ظهرت عندهم العديد من الرسائل على غرار الرسائل الوصفية التي كانت تعتني بوصف شتى أشكال الطبيعة والحياة، وهذا راجع إلى الطبيعة الخلابة للأندلس التي كانت مؤثرة بدرجة كبيرة على نفسية الكتاب مما جعل الوصف من الأنواع البارزة في ترسلهم [1]، كما يعود تطور فن الرسالة في الأندلس إلى المكانة التي يحتلها الكتاب والتي جعلت مختلف الأدباء والمبدعين يتوجهون إلى هذا اللون النثري إلاّ أن هذه المكانة لم تكن السبب الوحيد في تطورها فكانت الرقابة الأدبية التي صُوبت نحو الكاتب من قبل معاصريه السبب في جعله يولي رسائله بأهميته باللغة نتيجة إلى تخيير لفظها وتزيينها بمختلف أنواع الصيغة الفنية[2].

لقد ارتبطت الرسالة في الأندلس بما يعرف بالنثر الوصفي فكان للرسالة في هذا العصر مضامين كثيرة، فتعددت أنواعها واختلفت مجالاتها من داخلية وخارجية وتوزعت الرسائل ما بين رسائل ديوانية تكتشف عن جوانب تاريخية وسياسية مهمة وبين رسائل إخوانية تكشف عن صلات جديدة بين أدباء الأندلس حيث تناولوا موضوعات طريفة كموضوع الزرزوريات ووصف الغيث وما إلى ذلك.[3]

كانت الرسائل في الأندلس ذات أهمية عميقة توحي بجوانب الفكري في مجال النثر الفني في الأندلس تناولت دراسات نقدية كرسائل أبي محمد بن القاسم في غرض الترحيب وأبي عبد الله بن أبي الخصال.

نظم أدباء الأندلس إنتاجا نثريا جديدا جعلهم يضفون في الطبعة الأولى من كتاب النثر في الأندلس أمثال أبو عبد الله بن أبي الخصال وأخيه مروان وأبي بكر بن عبد العزيز.وعبد المجيد بن عبدون وغيرهم.[4]

يعد أبو عبد الله بن أبي الخصال من أشهر كتاب الرسائل في الأندلس ولهذا قد أطلق عليه لقب رئيس كتاب الأندلس حيث حظي بمنزلة كبيرة بين كتابها فقد لقت رسائله رواجا كبيرًا.

كتب أبو عبد الله بن أبي الخصال في نوعين من الرسائل:

---

[1]- ينظر: عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس ، مطبعة الاستقامة د،ط،د،ت، ص81.

[2]- ينظر: فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس، ص 94.

[3]- ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية دار المعارف الإسكندرية، مصر.

[4]- المرجع نفسه، ص 06.

الرسائل الأدبية والرسائل الديوانية التي تصدر عن ديوان السلطان أو الأمير من أوائل الحكم.

الرسائل الأدبية والتي تتناول أغراضا عامة من مكاتبات إخوانية أو مناظرات أدبية أو وصف مشاهد شخصية.[1]

عرفت الرسائل في العصر الأندلسي تطورا ملحوظا، وذلك يشمل مختلف أنواعها في النثر الفني الأندلسي حيث كان هذا الرقي عند معم الكتاب الذين كانوا من فرسان الشعر، إذ استطاعوا بما أوتوا من موهبة شعرية، وذوق أدبي أن يرتقوا بأساليب التعبير، وأن يعالجوا شتى الموضوعات، تأثروا في نثرهم رسائلهم، وخاصة بأساليب النثر العربي في المشرق واتخذوا منهج"الجاحظ"، الذي ساروا على منواله في كتابة رسائلهم بالإضافة إلى أنهم تأثروا كذلك بكتابات " ابن العميد"و" القاضي والفاضل" ، أين تمكنوا من إنشاء فن راقي دو مكانة مرموقة في هذا العصر حيث أصبح هذا الفن هو لسان حال الدولة ومن خلال هذا ظهرت العديد من أنواع الرسائل التي كانت منتشرة آن ذاك خاصة الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية.[2]

واكب أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري جميع مظاهر الحياة الأندلسية آن ذاك مما جعل له قيمة إنسانية، وقد ظهر في هذا القرن العديد من النقاد الأندلسيين الذين وضحوا آرائهم في أصول الكتابة وطرائقها وفي مقدمتهم ابن زيدون الذي أظهر نبوغا وإبداعا كبيرين في رسائله هذه خاصة الرسالة الجدية والهزلية، وقد تفنن في رسائله فأودعها بالكثير من الأمثال وأبيات من الحكمة[3] .

تعد الرسالة التي كتبها ابن زيدون والتي عرفت بالرسالة الهزلية، والتي كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي لمنافسه في حبها الوزير أبي عامر بن عبدوس، وقد سخر فيها من الوزير سخرية شديدة تصل إلى حد الهجاء المدقع، وهي تنبئنا على مدى غضبه من منافسه والتي جاء فيها: «أما بعد، أيها المصاب بعقله، المورود بجهده، البيّن سقطه الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره الساقط سقوط الدبابة على

[1]- ينظر: فوزي عيسى، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د،ط، 2002، ص 164.

[2]- ينظر: فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية ، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص 63.

[3]- ينظر: فايز عبد النبي القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس، في القرن الخامس هجري، دار البشر للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 1989، ص 309.

الشراب، المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب فإن العجب أكذب، ومعرفة المرء نفسه أصوب...»[1]

أما الرسالة الجدية فقد كتبها ابن زيدون في آخر أيام سجنه سيتعطف فيها الأمير أبا الحزم بن جهور أمير قرطبة إبان الفتنة يطلب العفو فيها ويتبرأ مما أتهم به ويسأل العفو ويرجوا إطلاق صراحه، ويبدوا أنه عنى بها العناية كلها معنا ولفظا وأسلوبا وسبكا، وكان الحبس أطلق لسانه وبيانه، وهاج شعوره ووجدانه، وظهرت فيها نفسه الكبيرة وهممه العالية، كما ظهر فيها حسن تنسيقه لما أراد أن يذكره فيها من المعاني والأغراض، فقد أبان فيها حسن ومفاخرة واستعرض فيها خدماته لمولاه وإخلاصه له وولاءه [2]، حيث يقول شوقي ضيق:«هي كأختها السابقة آية بديعية من آيات النثر الأندلسي»[3].

وفي الختام لا بد أن نذكر هذه الرسائل قد وجدت في مختلف العصور لكنها كثرت وتطورت في العصر الأندلسي، وخاصة في عهد الطوائف والمرابطين واشتهر العديد من كتابها وأصبح لهم أسلوبهم الخاص في الكتابة، ولا تعود أهمية هذه الرسائل إلى كثرتها فحسب، بل تعود أيضا إلى ما تشتمل عليه من علاقات اجتماعية والثقافة الواسعة التي يمتلكها الأديب.[4]

في العصر المملوكي:

يعد العصر المملوكي فترة مفصلية في التاريخ الإسلامي، فهو من أجل العصور، وقد تطور هذا العصر تطورًا حضاريًا وعلميًا كبيرًا، وكيف لا وقد كان العصر المملوكي عصر موسوعات علمية، واتصف علماؤه ومصنفوه بالموسعين فألفوا كتبا في الأدب والفقه والطب والتاريخ، فكثير من الكتب والموسوعات رجع لذلك العصر[5].

ولقد عرف العصر المملوكي بكثرة التأليف في فنون مختلفة ، وحفظ تراث الأمة في الموسوعات العلمية التي لولاها لفاتنا كثير من تلك العلوم التراثية، عصر يحق له أن يطاول ما سبقه من العصور بتعدد جوانب الأدب فيه، وكثرة المشتغلين به، حيث نجد

---

[1]- ينظر: سامي وسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص 312.

[2]- ينظر: مصطفى عناني، إظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، مطبعة الرحمانية مصر، ط3، 1927، ص 37.

[3]- شوقي ضيق:عصر الدول والأمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة(د،ط)، (د،ت) ،ص 441.

[4] ينظر: المرجع السابق، ص 446.

[5]- ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين بن تعزي بردى، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص322.

عددا هائلا ممن له صلة بنوع من أنواع العلم ساهم في مزاولة الأدب شعرا أو نثرا، فليس هناك عَالِمْ عُرِفَ يعلو كَعْبِهِ في علوم الحديث، أو التفسير، أو الفقه، أو اشتهر بالطب أو بالجغرافيا أو ما إذا ذلك إلا ونجد له قطعا أدبية كثرت أو قلت، ناهيك عمن احترف الأدب وعاش في كفنه من الأدباء والشعراء.[1]

ومن خلال هذه التوطئة يمكن القول بأن العصر المملوكي، عصر يزخر بعطاءات علمية وأدبية، جاءت بها قرائح العلماء و الأدباء والشعراء في ميادينهم المتعددة.

وقد كان لديوان الإنشاء أثر جليل شحذ همم الأدباء وحفزهم إلى إجادة صناعتهم وإتقان الكتابة لاتخاذ ذلك ذريعة للوصول إلى مناصب الديوان، فقد اعتاد السلاطين يعينوا في مناصبه وخصوصا في رياسته من سَمَتْ هِمَتُهُ وعُرِفَ فَضْلُهُ واشتهر علمه وأدبه واستقام خلقه وحسن رأيه من الكتاب والمنشئين.[2]

هذه المكانة المميزة لكتاب الإنشاء وللكتابة تعطي الرسائل مكانة مرموقة، وتعطيها إجلالا وتعظيما، فهي تعكس الحياة الأدبية البارعة التي تواجه من أو على جهود علم هذا العصر وتخلفه.

وقد كانت الرسائل الديوانية المثل العليا للإنشاء في ذلك العصر، فحذا الكتاب خارج الديوان حذوها من مناهجها الأسلوبية، بل وفي بعض أغراضها، فمن هذه الأغراض بعامة الرسائل الديوانية، وهي الرسائل الرسمية التي يكتبها منشوء الديوان ي الأمور العليا للدولة، وهي متنوعة حسب أغراضها فمن أشهرها الرسائل الملوكية وهي التي تكتب على لسان السلطان إلى أحد الملوك أو الأمراء في أمر هام، ردا على رسالة أو ابتداء بها، وهذا النوع أهم رسائل الديوان وأوثقها تعبيرا عن السياسة العليا للدولة، وخير مثال على ذلك رسالة وردت على لسان هولاكو ملك التتار وفاتح بغداد إلى ملك مصر المظفر عام 658هـ يهدده ويدعوه إلى طاعته: «يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن خلق الله في أرضه، خلقنا من سَخطه، وسلطنا على من حَلَّ بِهِ غَضَبُه»...إلخ[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 323.

[2]- ينظر: محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي ب مصر، 1957م، ص 29.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

أما بالنسبة للرسائل الإخوانية فيكتبها صديق إلى صديقه في مدح أو شكر أو تهنئة أو تعزية أو شوق أو عتاب أو شكوى أو مداعبة أو استدعاء أو مجون أو اعتذار أو لغز أو سؤال علمي أو أدبي أو نحو ذلك مما يكون بين الأصدقاء، وقد راج هذا الضرب إلى من الكتابة الأدبية في هذا العصر رواجه في العصر العباسي، وكثيرا ما اتخذه بعض الأدباء وسلة للتسلية وتمرين القريحة دون أن تكون هناك داعية إخوانية إلى ذلك، وقد صرح بذلك الأديب الشاعر زين الدين بن الوردي في خطبة ديوان شعره ونثره، وكذلك الأديب الكاتب شهاب الدين محمود الحلي في كتابه« حسن التوسل»[1]

ومن كتاب الإخوانيات كذلك الأديب البارع الشاعر برهان الدين القيراطي، والشاعر الفحل جمال الدين بن نباته المصري، والأدب المؤرخ صلاح الدين الصفدي، وللصفي كتاب مخطوط اسمه«ألحان السواجع» سجل فيه مراسلاته الإخوانية وردود إخوانه عليها.[2]

والملفت للنظر من خلال هذه الفقرة هو ظاهرة كثرة النثر الفني بأنواعه المختلفة، إذا كان الأدباء من الكتاب والشعراء قد يمّموا وجوههم شطر الكتابة الأدبية، واشتغلوا بها، وتباروا فيها.

ومثال ذلك رسالة إخوانية في الشوق حيث كتب الأديب المنشئ البارع شهاب الدين محمود الحلي في إظهار الشوق فقال « ما أم طفل قذفها الزمن العنيد، في بعض البيد، في أرض موحشة المسالك، قليلة السالك، قد لمع سربها، وتوقدت هضابها، وصرخ بومها، ونفر ظليمها....إلخ»[3].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنه لم يُظْلم عصر من العصور العربية كما ظلم العصر المملوكي، فقد شكك العديد من الدارسين فيه ، وحكموا على نتاجه العلمي والأدبي بالضعف والانحطاط، وأغفلوا ذكر فرسان الحليتين، من علماء وأدباء وشعراء، وما تطور عن الرسائل في ذلك العصر إلا دليل قاطع على أنها كانت مصدرا مهما من مصادر النثر في هذا العصر، إذا كان الأدباء من كتاب وشعراء قد اتجهوا إلى الكتابة الأدبية، واشتغلوا، وتباروا فيها، قد نظموا الرسائل بألوانها والخواطر التأملية والمقامات، والمواعظ

[1]- ينظر: محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث ص 31.
[2]- المرجع نفسه، ص31.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

وما إلى ذلك، إلا أن ما خطي منها بعناية الأدباء هو الرسائل الأدبية، فازدهرت في ظل هذا العصر ازدهارا لم نعهده في العصور السابقة.

في العصر الحديث:

لما غلب التصنع والتقليد على أسلوب الكتابة، جاء عصر النهضة فاستقامت الأمور وتخلص الكتاب من التصنع والتنميق فسيطرت العفوية والصدق والبساطة، « وعاد الاهتمام بالمعنى من دون إغفال المبنى أو الشكل، وابتعد المنشؤون عن الإسهاب والإطالة، واكتفوا باللازم من الكلام لإتمام المعنى [1]»، وبسبب تغير الظروف الحياتية للمجتمعات تغير أسلوب كتابة الرسائل «فأصبحت تميل إلى السيولة وتعدد موضوعات الرسالة فمنها الرسائل السياسية والحربية والوعظية والأخلاقية، والاجتماعية، والرسائل الإدارية»[2].

وقد تطور فن الرسائل في هذا العصر ليخرج عن النطاق السياسي والإخواني المحدود، ليدخل في الإطار الإخواني الشائع، ليتبادل الكتاب والأدباء الرسائل الأدبية، صنفت كذرر في مسار الأدب العربي، رغم أن هذا الفن في العصر الحديث لم يأخذ المكانة التي أخذتها الفنون الأخرى ، غير أن التاريخ احتفظ لنا بالكثير من المراسلات بين الأدباء، وكان أشهرها على الإطلاق مراسلات الأديب جبران خليل جبران والأديبة مي زيادة[3]، على أن ما عرفه الأدب العربي المعاصر في فن الترسل هو احتفاء الأدباء بجمع رسائل الأعلام من الشعراء والمفكرين، وهي رسائل خاصة تفاوتت غرضا وأسلوبا، ومنها رسائل، "الرافعي" التي جمعها "محمود أبو رية"، ورسائل " جبران خليل جبران" التي جمعها "جميل جبر"، أو الرسائل "أمين الريحاني" إلى أهله وأصدقائه ورسائل "طه حسين" الأدبية، ورسائل"العقاد" التي جمعها الأديب" محمد حمدان"[4].

فرض تقسيم العلوم والآداب في العصر الحديث أن ينفرد مفهوم الرسالة بباب أو بابين واسعين لأغراض متشعبة، فظلت الدراسات الجامعية والأكاديمية تعتمد إسم الرسائل كالأطروحات الجامعية وبعض الكتب القديمة، كانت تسمى رسائل، إذ غلب عليها

---

[1]- أنطونيس بطرس، الأدب، تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ، لبنان، 2005، ص 199

[2]- عيد حميد الخريشة، تطور الأساليب الكتابية في العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع ط1، عمان، 2004، ص 193.

[3]- ينظر: محمد يونس، في النثر العربي مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص 174.

[4]- ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء ص 09، 10.

القصر، وأما الرسائل القصيرة بمعنى المكتبات المتبادلة، فتشعبت إلى رسالة وظيفة مثل ما هو الحال لدى عبد الحميد الكاتب في العصر القديم، وتفردت الرسائل الوجدانية الذاتية بنقل المشاعر والأحاسيس المتبادلة بين الأصدقاء والمحبين ولكل منها منهجا وأسلوبا وإن كانت تتفق في بعض الخصائص المشتركة كالاستهلال بالتحية أو تجاوزها، ووجود الخاتمة التي تعبر عن وجود الوّد والتقدير نحو المرسل إليه[1].

ويمكن القول بأن فن الرسائل من أبرز الفنون الأدبية وأشكال التعبير في الفن الحديث، وذلك لما تكتسيه الرسائل من مكانة في حياة الناس، رغم أنها اليوم فقدنا بعض ألقها وشيء من أهميتها، نظرا لتطور التكنولوجيا، فقد استعاض عنها الناس بالمكالمات الهاتفية لأنها أسرع، ووصلوها إلى المرسل إليه مضمون، ولكن هذا لا يعني الانثرنيث أو الهاتف الخلوي أو الثابت سيحل محل الكتابة أو يلغيها على الأقل في المدى المنظور لأن للكتابة طعم آخر، ولأن المرء يبوح أحيانا إلى القلم بما لا يبوح ولا يجرؤ عن البوح به إلى الآخر[2].

مما سبق، نستطيع القول بأن الرسالة فن قديم وواسع قدم الإنسان، ظهوره الأول كان مجيء الإسلام، أين بدأ الاهتمام العربي بالكتابة فالتدوين لأغراض دعوية، ثم أخذ هذا الفن في التطور مع مجيء العصر الأموي أين أخذت الرسالة طابعا سياسيا عاكسا الظروف الحياتية ، أبان تلك الفترة لتصل إلى ذروة الازدهار والنمو مع العباسيين ، اتخذت صيغة فنية بعثة، عنى فيها كتابنا بالزخرفة اللفظية وحسن الصياغة، كما لم يهملوا المضامين والأغراض فتعددت أنواعها بتعدد موضوعاتها، ولعل أشهر أنواع الرسالة في العصر الحديث الرسائل التبادلية بين جبران خليل جبران والأديبة مي زيادة.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 44، 45.

[2]- ينظر أنطونيس بطرس، الأدب تعريفه أنواعه ومذاهبه ، ص 109.

المبحث الثالث: رواد الرسائل الأدبية:

الرسائل الأدبية فن من الفنون الأدبية، ازدهر في أوائل القرن المنصرم، وكانت الرسالة قطعة أدبية، لأن الأديب يكتبها وهو في حالة صفاء دهني، فتنال عبارته الأنيقة وهو في غاية التجويد والإتقان.

ولعل أبرز تعريف للرسالة الأدبية: « هو أنها نص نثري سهل، يوجه إلى شخص مخصوص ، ويمكن أن يكون الخطاب فيها عاما، فهي صياغة وجدانية حانية مؤنسة، وفي عتاب رقيق يظهر النجوى أو الشكوى ويبوح بما في الوجدان من أحاسيس و أشجان وتتوارد الخواطر فيه بلا ترتيب ولا انتظام، لتغدو الرسالة وإن طالت أو قصرت قطعة فنية مؤثرة دافعة إلى استجابة المشاعر لها، وقبولها ما باحت به »[1]

ومن الأقلام الشهيرة التي كان لها صفات مضيئة في سجل أدب الرسائل نجد:

أ –عباس محمود العقاد:

برز عباس محمود العقاد في فن الرسائل، إذ تعد رسائله وثائق أدبية هامة، لأن أسلوبه فيها هو نفسه في كتاباته الأدبية، فقد كان يملك الوعي بأن ما يكتبه من رسائل يجب ألا يخرج عن دائرة الأدب والفكر، ولا سيما الرسائل الذاتية التي هي أخص أنواع التعبير المستخدمة للكشف عن شخصيته صاحبها، لأنه يبوح فيها لا يبوح به في نتاجه الفكري والأدبي[2] .

يتضح لنا من خلال هذا الطرح أن عباس محمود العتاد من الأدباء الدين يعتبرون الرسالة تعبير عن شخصية كاتبها وذات، فرسائله تكشف عن أسرار حياته وعالمه الخاص.

جمع الأديب محمد محمود حمدان رسائل العقاد التي حفظها الزن من الضياع في كتاب بعنوان "من رسائل العقاد"، أكثرها موجهة إلى أقرانه من رجال الفكر والأدب، وهي رسائل متفرقة لا تؤلف منظومة فكرية واحدة، إلا أن أهمها تلك التي وجهها إلى الأديبة مي زيادة التي كان يكن لها مشاعر الحب والعطف والإكبار، لكنها تظل رسائل من طرف واحد، تختلف عن مجموعة الرسائل المتبادلة بين جبران ومي[3] .

---

[1]- محمد العوين، المقالة في الأدب السعودي الحديث، ط1، مطابع الشرق(الأوسط) الرياض، 1992، ص 243.

[2]- ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 97.

[3]- ينظر:المرجع نفسه، ص 99.

ورسائل العقاد الرسمية محدودة جدا فقد كان عزوفا عن المناصب والسياسة، ولم يسلم من التورط في الصراعات السياسية والحزبية التي سادت المجتمع المصري، جين داك، وفي رسائله إلى أقرانه من الأدباء والمفكرين يبدو العقاد شديد الأنفة، معتدا بنفسه لا يهادن، ويقسو في رسائله، وقد فطر على الصراحة والجرأة، لا يجامل حتى أصدقائه الدين تربطه بهم علاقة ود.[1]

للعقاد مراسلات مع كتاب وأدباء عصره، أمثال طه حسين وصديقه محمد لطفي جمعة بالإضافة إلى ميخائيل نعيمة الذي جمعه به فكر تجديدي، ودعوة متشابهة لتحرير الأدب وتجديده، حيث طلب منه"نعيمة" أن يقدم لكتابه "الغربال" فكتب له العقاد «إنها أريحية منك ومودة كريمة أن تعهد إليّ بهذا الواجب الأدبي، لتريني كيف لا تعدني غريبا ولا بعيدا وأقول "أنني متغيط بهذه الروح الأخوية السمحة، بل كنت أستحل لنفسي الكنب عليك، لو خطر لك تكليفي كتابه المقدمة، ثم عدلت لأي اعتبار... "»[2]

إضافة إلى مراسلاته الفكرية والغرامية مع الأديبة مي زيادة فقد جمعته بها خطابات أدبية فكرية وإنسانية وهي دليل على رابطة متينة قوية بينهما، حيث راسلها من أسوان إلى القاهرة، وعند عودته من أسوان عاد إلى زيارتها بشوق وحنين إلى تلك الشخصية التي فتنته قبل أن يراها، وبهذا تقارب الأديبان العقلان والقلبان لكن حبهما كان مختلفا، حيث كان العقاد يؤمن بطوفان المشاعر وتوحد الحبيبين نفسا وروحا وجسدا على خلاف مي التي تؤمن بالحب الصافي العفيف الذي يرتفع عن رغبات الجسد ويسمو إلى عالم الروحانيات وصداقة الفكر[3]

وهكذا تبدو رسائل العقاد غنية بالكشف عن أسرار حياته وعالمه الخاص، وتغني آراءه وأفكاره وتبرز علاقته بأعلام عصره، وهي شهادة وفاء لأصدقائه وإخلاصه في الدفاع عن الحقيقة ولو تحمل من أجلها رهقا.

ب- توفيق الحكيم:

فن كتابة الرسالة لدى توفيق الحكيم إطار ناجح ينفد منه للتحمل في كثير من شؤون الفكر والحياة وتدوين جزء من سيرة حياته في مرحلة الشباب، ومن خصائص

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 100.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 107.
[3]- ينظر: محمد خالد غازي، مي زيادة سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر، وكالة الصحافة العربية ، د،ط، 2010، ص 121، 122.

الرسالة أنها فن مفتوح يمكن أن يتناول فيه الأديب بمرونة المسائل الذاتية، أو ينفد إلى القضايا الفكرية و الاجتماعية بلا قيود كما فعل الحكيم في "زهرة العمر" فهو يتحدث عن طموحاته وميوله الأدبية والفنية، ولكنه ينفد إلى قضايا فكرية تتعلق بالأدب والفن، التربية والفلسفة حتى لا تبدو الرسائل إطارا شكليا لديه ينفد منه إلى هدفه الفكري [1]، وبحكم مرونة فن الرسالة فقد أحسن توفيق الحكيم استغلالها فهي تعد إطارا ملائما لأي عمل فكري أو أدبي.

كما يعد توفيق الحكيم من الأدباء الذين أبدعوا في فن الرسالة عند العرب لما تركه من رسائل لفتت انتباه الباحثين، ومازال كتابه "زهرة العمر" يحتفظ بسحره على مر الزمن لأنه ينبض بأحاسيس مؤلفه ويعبر عن مرحلة هامة من مراحل حياته، حيث كان يكافح الظروف ليكشف طريقة في عالم الأدب، "زهرة العمر" مجموعة رسائل وجهها توفيق الحكيم إلى صديقه "أندريه" وهو شخصية فرنسية يحكي فيها تفاصيل حياته وكدا أرائه في الأدب والفن ولذلك هي أقرب ما تكون إلى فن السيرة الذاتية[2].

لم يتخذ توفيق الحكيم في الرسالة قالبا شكليا فحسب، ينفد منه إلى تأملاته: ففي رسائله التي وجهها إلى صديقه كثير من الصدق الفني والمشاعر الإنسانية النبيلة التي قام عليها فن الرسالة وبراعة في الحوار وعمق إنساني واضح، إذ أن العلاقة الحميمة التي ربطت توفيق الحكيم بأندريه أسرته، فيها روعة الارتباط الإنساني الذي يتجاوز الحدود والفوارق ، ويجمع الشرقي إلا الغربي ويؤلف بينهما فقد كانت تلك المعاملة اللطيفة التي أحاطت أسرة أندريه بالحكيم متميزة فيتحدث توفيق الحكيم وكأنه جزء منها يقول (اكرر شكري لجرمين «زوجة اندريه» على هذه الوليمة وتلك الغلالة الحريرية التي أعارتني إياها لأجعلها حول عنقي خوف البرد، «جانو» يقبلك وقد قبلته عنك)[3]

يعد توفيق الحكيم أحد الرواد القلائل للرواية العربية والكتابة المصرحة في العصر الحديث فهو من إحدى العلامات البارزة في الحياة الأدبية والفكرية والثقافية في العالم العربي، ومن أشهر الأدباء العرب الذين تركوا بصمة تاريخية في الأدب العربي.

---

[1]- ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 148

- ينظر: المرجع نفسه ص 147.

[3]- ينظر المرجع نفسه ص، 149.

ج- مي زيادة:

إن مي زيادة ليست بالأديبة العادية، إذ لم تكتف بفن أدبي واحد كالترجمة أو الشعر أو المقالة بل تنوعت الفنون الأدبية التي عالجتها ربما لمواهبها المتعددة وإتقانها لسبع لغات، ويرى بعض الباحثين أن مي لو تخصصت في فن أدبي واحد لتركت تأثيرا كبيرا في الأدب العربي المعاصر، ولم تنقطع مي منذ نشأتها عن معالجة فن كان دائما مرآة لنفسية الأديب وتأريخا لفترات حاسمة في حياته وسجلا أمينا لثقافته نعني به «فن المراسلة».[1]

راسلت مي زيادة أعلام عصرها من كتاب وشعراء وصحفيين ومفكرين وسياسيين ،وراسلت عددا من النشاطات في الحركة النسائية في مصر وعباس محمود العقاد، الأمير سعيد، عبد القادر الجزائري وباحثة البادية ملك حفني ناصف ،محمد لطفي جمعة، مصطفى صادق الرافعي، وراسلت يعقوب صروف، كما راسلت الشاعر و الأديب جبران خليل جبران،وتأثرت بأسلوبه ونظراته إلى الحياة، وربطت بينهما علاقة حب نقي رغم بعد المسافة بين مكانيهما، إذ كانت مي في الشرق، وكان جبران مهاجرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أقصى الغرب، وغلبت على موضوعات رسائلها مناقشة القضايا التي شغلتها مثل قضية إصلاح المجتمع وإنهاض المرأة، ومناقشة معنى الوجود الإنساني، ونقد الآراء الجامدة التي تضع العوائق في طريق تحرر المرأة ومشاركتها في الحياة العامة، والتعريف بالكتب الصادرة حديثا وإبداء آراء نقدية لمضامينها[2].

كما طورت مي زيادة فن المراسلة، شكلا ومضمونا، إذ طرقت موضوعات جديدة لم يطرقها احد قبلها مثل نقد الكتب والنجوى الداخلية والوصف البارع لتحولات الطبيعة والأسئلة الوجودية، وتناولت الموضوعات الكبرى المتصلة بحقوق المرأة، وسلكت أسلوبا يقوم على الطرافة والوضوح، ودقة العبارة، وحسن الانتقال إلى الفكرة الرئيسية وبراعة المحاورة، وجعلت من الرسالة محورا فكريا لا علاقة له بالعاطفة وكانت رسائلها حوارات شيقة تموج بالأحلام والسعادة والتفوق إلى الكمال وتقديرا ممزوجا بالتفهم لمكانة مخاطبها، وكانت تصب في رسائلها عقلها وقلبها وثقافتها الواسعة، وتوظف كل شاهد في موضعه

[1]- ينظر د. خالد محمد غازي، مي زيادة سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر، وكالة الصحافة العربية، 2015، ص 203.

[2]- ينظر: خليل بيطار، مي زيادة ياسمينة النهضة والحرية ، الهيئة العامة السورية للكتاب منشورات الطفل، دمشق، 2012، ص 32 ،33

ليؤثر في المرسل إليه، وتضيف إليها ما تتفوق به على سواها من ذكاء وأدب ولطف ودعابة وتقرب إلى درجة تجعل كل من أصدقائها يحتفظون برسائلها ويستعيدون قراءتها مرة بعد مرة[1]

برزت مي زيادة في العديد من المجالات أهمها ظهورها على الساحة الأدبية و الفنية، حيث أبدعت وأمتعت سامعيها وقارئيها في فن الرسالة فهي أكثر من أديبة في إنسان واحد وهي كاتبة وناقدة وخطيبة.

د – جبران خليل جبران

يعتبر جبران خليل جبران من الأدباء الذين أثروا فن المراسلة عند العرب بما تركه من رسائل لفتت انتباه الباحثين و أثارت فضولهم فولجوا عبرها إلى عالم جبران المليء بالرموز والأسرار.

راسل جبران نساء كثيرات منهن أخته ماريانا، وسلطانة ثابت، جوزيفين بيودي، ماري هاسكل، إميل ميشال المعروفة بمشيلين، شارلوت تلز، وراسل الأديبة مي زيادة، وماري عيسى الخوري، وماري بني، وماري قهوجي وماريثا لوسن وغيرهن ...بعضهن كانت له معهن علاقات حب ومودة وتأثير فيه بوصفه فنانا. ولعل أبرز رسائل جبران إلى النساء تلك التي وجهها إلى «مي زيادة» كما لم تكن المراسلة بين الأديبين مستمرة فقد تخلّلتها فترات انقطاع وكان الحب المتبادل بينهما صوفيا ساميا، تأتي هذه العلاقة في إطار فلسفة الوجود التي تبناها جبران [2].فهو يقول لمي:(الأفضل أن نبقى هنا، في هذه السكينة العذبة، هنا نستطيع أن نتشوق حتى يدنينا الشوق من قلب الله ...) [3] كما كان لجبران مراسلات مع شخصيات بارزة في عصره مثل "الفيكونتس سيليا أوف لو تنبرغ" وهي مستشرقة معروفة في المجتمع الأوروبي، يلاحظ في مراسلات جبران خليل جبران مع المرأة أنه مثالي النزعة، فهو يجلها، ويداعب مشاعرها الوجدانية، يتقرب إليها ويثني عليها، ويرى فيها ملاكا يجمل حياته شأن الرومانسيين، ويستند رأسه المتعب إلى صدرها، ويكاشفها بآلامه الجسدية والنفسية وخاصة في السنوات الأخيرة من عمره[4]

[1]- ينظر المرجع السابق،ص 33.
[2]- ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 264.
[3]- سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص12.
[4]- ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء ،ص268.

أما علاقة جبران بالرجال من خلال رسائله، فقد كانت له روابط وصداقات مع أقرانه في المهجر وفي وطنه وممن راسلهم فهم جميل معلوف، وابن عمه نخلة جبران ولعل علاقته بهم كانت أكثر من علاقته بالآخرين، كما يتضح من مباسطته معهما عبر رسائله إليهما،وآخرون مثل أمين الغريب، يوسف الحويك، أمين الريحاني، وأمين مشرف، وإميل زيدان، ورفيق دربه ميخائيل نعيمة وغيرهم ممن ربطته بهم مناسبات عابرة مثل حنا الظاهر وأدمون وهبة، فرسائل جبران إلى الرجال تفيض عذوبة وتعلي شأن الصداقة، وتحفل بالثناء على من صادقهم، وتشجعهم أمام العوائق مع نزعة إنسانية نبيلة، فهو يخاطبهم بأخي الحبيب أو العزيز، ويتبع الخطاب بالسلام، وتتناول أكثر رسائله إليهم قضايا أدبية واجتماعية وإنسانية عامة، ونصائح وتوجيهات، فهو يقترح في إحدى رسائله إلى أميل زيدان أن يكثر من نشر القصص والروايات في مجلته الهلال لأن (الشرقي يميل إلى سرد الحكايات بل هو الذي ابتدع هذا الفن ولأن الناس ملّوا من المقالات والقصائد المعهودة، وتعبوا من القوالب العتيقة)[1]

إن رسائل جبران خليل جبران وثائق إبداعية ، تتدرج عن نتائجه الأدبي وتلقي أضواء على نفسيته وتطلعاته ومواقفه الإنسانية والوطنية والاجتماعية.

هـ- غسان كنفاني:

يعتبر غسان كنفاني من ابرز رواد أدب الرسائل ، إذ تعد الرسائل التي بعث بها إلى الأديبة "غادة السمان" امتداد لأدب الرسائل الوجدانية فرسائله إلى غادة السمان خطابات إنسانية تختلط فيها الصداقة العميقة بلغة العصر وأوجاع الزمن، وتختلط فيها الصداقة بالقضايا، ولهذا جاءت رسائل غسان وثيقة عشق عاشق، ثم إن هذه الرسائل تدخل في باب أدب البوح والاعتراف وهذا اللون شبه مفقود في الأدب العربي، فرسائل غسان تغني هذا اللون من الأدب الذي تخط فيه الروح رموز الصدق على الورقة الملساء ويجنح فيه القلب إلى المستحيل[2] .

إن عدد الرسائل المنشورة التي بعث بها غسان كنفاني إلى غادة السمان لا يتجاوز خمس عشرة رسالة، والحيز الزمني الذي احتلته هذه الرسائل لا يتجاوز السنتين، بل إن

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 268، 269.

[2]- ينظر: أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ج4، العدد 258، ص 19، 20.

تواترها المتلاحق في بداية العلاقة يشهر بعنف التجربة التي مر بها "غسان" كما يشهد تاريخ كتابة الرسائل ، في الرسالة الأولى غير المؤرخة واتي تقدر غادة أنها أول رسالة إليها منه يشير فيها غسان إلى أسبوعين قضاهما معا في "بيروت" ولا يمكن للكتابة أن تعبر عن حقيقتهما، ويبدو أن علاقة الحب بينها قد تطورت في هذه الفترة فهو يقول لغادة (أعرف أن الكثيرين كتبوا لك وأعرف أن الكلمات المكتوبة تخفي عادة حقيقة الأشياء خصوصا إذا كانت تعاش وتحس وتنزف على الصورة الكثيفة النادرة التي عشناها في الأسبوعين الماضيين ...ورغم ذلك، فحين أمسكن هذه الورقة (كنت أعرف أن شيئا واحدا فقط أستطيع أن أقوله وأنا أثق من صدقه وعمقه وكثافته وربما ملاصقته التي يخيل إلي الآن أنها كانت شيئا محتوما، وستظل، كالأقدار التي صنعتها: إنني أحبك [1] وفي رسالة أخرى يبدي غسان تعطشه للدفء الإنساني فيعلمها أنه فوجئ بأن الناس يحبونه أكثر مما كان يتوقع، ومقابل هذا الود فإنه لا يحمل لأبناء فلسطين إلا الكلمة مع غياب السلاح، ويعود ليؤكد لها مكانتها في قلبه بقوله «إنني أحبك أيتها الشقيقة، كما لم أعرف الحب ف حياتي ولا أذكر في حياتي سعادة توازي تلك غسلتني من غبار ثلاثين سنة وصدئها ليلة تركنا بيروت إلى هنا. » ويلح على أن يراها باستمرار فهي تعني له الكثير ويستشهد بجملة وردت في زاوية من أوراق خاصة كان يكتبها ...فيقول لها: « إنني لا أستطيع أن أكرهك ولذلك فأنا أطلب حبك ...»[2]

كان غسان كنفاني حريصا على أن يضل حبه لغادة نقيا لا تفسده الأيام غير أنه حب يؤلمه في الصميم، فقد جاء بعد زواجه من امرأة أخرى فيدا مجهضا لا أمل فيه، وكانت غادة أول مرة في التراث الأدبي تقدم على إعلان علاقتها بغسان كنفاني التي لم تكن بالفعل مكتوبة بين الناس، فقد أشهرها غسان بما كان يعلنه حول هذه العلاقة لأصدقاء وزملائه أو ما كتبه من خاطرات وجدانية حتى بات الوسط الثقافي والأدبي يعرف بهذه العلاقة قبل أن تنشر غادة السمان رسائل غسان إليها بعد استشهاده بربع القرن وقد راءت غادة أن تنشر هذه الرسائل بعد هذا الزمن من شأنه أن يسهم في إحياء الأديب الراحل[3].

---

[1]- ينظر: غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص 27.

[2]- ينظر: المرجع نفسه،، ص 30، 31.

[3]- ينظر: عبد الطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 221، 222.

و- مصطفى صادق الرافعي:

برز الأديب مصطفى صادق الرافعي في فن الرسالة الأدبية وكانت اهتماماته في رسائله لغوية، أدبية، نقدية، وفكرية، وشؤون تتصل بنتاجه وبعض أرائه في التربية والحياة إضافة إلى أمور ذاتية تشمل معاناته الصحية والنفسية[1]

راسل الرافعي العديد من أدباء عصره منهم الأديب محمود أبو رية كما تتجاوز الرسائل المتبادلة بينهم بمئتي رسالة، وهي أقرب إلى القصر وإن كان بعضها يتجاوز صفحتين أو ثلاثا خاصة ردوده وتعليقاته على بعض مسائل الأدب واللغة التي كان أبو رية يستحثه للإجابة عنها...(وقد أسأله عن الشيء وأنا أعرفه وذلك لأستحث من همته و أبتعث من عزيمته، وكنت أتخذ من ذلك رسائل كثيرة، لكي ينهمر وذق قريحته، ويجود سحاب طبعه)[2]

ويلتقي الرافعي في رسائله الخاصة بالكاتب عباس محمود العقاد الذي يشبهه في طبعه الصريح وإن كان يفوقه عنفا في الرد على خصومه إضافة غلى طه حسين ولم تكن حملته على طه حسين أقل قسوة من حملته على العقاد فقد كتب في رسالة تتصل بمحاضرة ألقاها طه حسين في انثر العربي « أما الشيخ طه حسين... فقد كتبت أمس كلمة فيه وأخبرني الشيخ عبد العزيز عن بشر أن محاضراته كانت مجموعة متناقضات وإن كانت الجامعة حشدت له حشدا عظيما... » وينصفه في رسالة أخرى فيكتب(أما طه حسين فليس بالضعف الذي نتوهمه وهو في أشياء كثيرة حقيق بالإعجاب)[3]

كما كان الرافعي معجبا بالبارودي فكتب فيه مرة(فقد كان نابغة دهره الذي نشأ، ولم يكن في عصره أحد يساويه...إن الرجل شاعر فحل مجودّ، وإن كان ضيف، ضعيف الحيلة في إبراز المعاني واختراعاتها ...)، وكان شديد الحملة على الكاتب سلامة موسى فيقول فيه(لأن كلامه سخيف لا يسمى نقدا...) ويحمل الرافعي على الكاتبة مي زيادة فيصفعها بالثقيلة، أو ينعتها بالشيطانة ويتهما بالانتماء به والغريب من أمره أنه يتعرف بأنها ملتهمة في كتابة مؤلفيه «السحاب الأحمر وأوراق الورد»[4]

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص 135

[2]- ينظر :محمود أبو رية، رسائل الرافعي، منشورات دار إحياء الكتب العربية1950 ، ص 37.

[3]- ينظر :عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 136، 140.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، ص 140، 141.

يلمس في رسائل الرافعي صفاء قلبه على الرغم من عنفه وعمق عقيدته وصدقه مع نفسه، كما يلاحظ إعجابه بنفسه وبأدبه إعجابًا يصل إلى النرجسية يقول(ستكون «أوراق الورد» إن شاء الله مع السحاب والرسائل أية لا نظير لها في فنها...وفي رسائله تصوير للمعاناة المادية فقد كان كاتبا في محكمة لا يكاد راتبه يف شؤون حياته وهو متوهج العاطفة في رسائله، حاد المشاعر وقد دفعه انفعاله العاطفي إلى الخروج عن طوره في كثير من رسائله، كما أن رسائله الخاصة من أهم ما كتبه في تصوير نفسيته ودراسة فكره وتعرف آثاره وآرائه في عصره وتعد من الوثائق الهامة التي تكمل نتاج الرافعي وتشرحه)[1]

[1]- ينظر:المرجع السابق، ص 142.

المبحث الرابع: أنواع الرسائل:

تنوعت الرسائل في الأدب العربي بتنوع أغراضها وموضوعاتها وحسب ما أراد المرسل أن يوصله إلى مرسله فقد ظهرت العديد من الأنماط التي تعبر عن كل عصر وواقعه وأفكاره ونظرا لتنوع هذه الرسائل يتوجب علينا أن تلقي نظرة حول بعض أنواع الرسائل في الأدب العربي ونذكر منها :

أ – الرسائل الديوانية: وهي الرسائل تعنى بشؤون الدولة وأحوالها السياسية وتتمثل في الخطابات المتبادلة بين الكلام والولاة في مختلف المناسبات كالمكاتبات والعهود، وتكتسي طابعا ديوانيا وصنعة رسمية فالمقصود بالرسائل الديوانية هي تلك التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك ويوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه بل وإلى أعدائه أحيانا متوعدا منذرا .[1]

كما يقول مصطفى الشكعة: «الرسائل الديوانية هي التي تكتب في شؤون الدولة كإرشاد من الخليفة أو الملك إلى وال من الولاة أو توجيه إلى حاكم أو وصف لموقعه أو تهديد إلى خارج الدولة وترجع إلى هذه الرسائل قيمة تاريخية إلى أنها سجل الأحداث التاريخية والمواقع الحربية أسماء الحكام والقواد، كما تصور ألوان الحياة السياسية ومن هنا نعتبر هذا النوع من الرسائل و كأنه وثائق تارخية قديمة ».[2] وبالتالي فإن الرسائل الديوانية تختص بالموضوعات الإدارية السلطانية وكذالك تسمى بالمراسيم والقرارات من إعلان الحرب ومعاهدات السلام، والرسائل الديبلوماسية الإدارية الرسمية.

والرسائل الديوانية تسمى أحيانا "الرسمية أو الإدارية" وتصدر عن دواوين الحكام وتعنى بأمور الدولة ولذا يحرص على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في الكتابات ذات الصيغة الرسمية ومن هذا النوع العمود والتقاليد، والمناشير والفتوحات بالإضافة إلى الحث على الجهاد وانتقال الخلافة والتقليب والاحماد[3] .

وهذا النوع من الرسائل يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والأمراء ويختلف أسلوبها باختلاف غرضها، وتسمى كذلك "السلطانية" وهي التي كانت

---

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص 140، 141.

[1]- ينظر: فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث هجري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1991

[2]- ينظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص577.

[3]- ينظر: محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996، ص 162.

تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه وقد كان لكل خليفة أو ملك كاتبه الذي يتولى عنه كل مهام الدولة وشؤونها من رسائل ومنشورات وعهود ومبايعات وغيرها.

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات عديدة ومتنوعة فكان منها:رسائل الجهاد والفتن والاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد التشتت والتمزق الذي أصابها، كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية، ويتصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين في التهاني بما تحقق من فتوحات وظهر على أعداء المسلمين.[1]

الرسائل الديوانية ترمي إلى ضبط العلاقات و وضع الترتيبات الإدارية فمن المميزات العامة للرسائل الديوانية أنها تميل إلى القصر والإيجاز والوضوح والدقة و إتباع الطريقة التقليدية في كتابتها لها نسق معين أصبح بما يشبه النماذج الجاهزة التي تحتاج فقط إلى كتابة الاسم والتاريخ.

ب_ الرسائل الإخوانية :

في مقابل الرسائل الديوانية يوجد نوع آخر من الرسائل يعرف بالترسل الإخواني، وهو الذي يكتبه الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية التهنئة والتعزية والبشارة والعتاب وغيرها من أمور الحياة يعبر بها كاتبها عن الشوق والحنين للأهل والأصحاب.

وهذا النوع من الخطابات يسمى الشخصي الذي يتبادله الأصدقاء أو الناس عامة وهو الأقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظية والأسلوبية ومن موضوعاته الشكر والشوق والعتاب والتهنئة والشكوى والمدح ،والهجاء، الإستماحة والإستعطاف والإعتدار والوصف...[2] ولهذا الصنف من الرسائل أغراض شتى أوصلها صاحب كتاب صبح الأعشى إلى سبعة عشر نوعا أو غرضا، (التهاني، التعازي، التهادي، الشفاعات، الشوق، الإستزارة، واختطاب المودة وخطبة النساء، الاستعطاف والاعتذار، الشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض بالإضافة إلى الأخبار والمداعبة وبعض هده الأنواع يندرج تحت اضرب كثيرة).[3]

---

[1]- ينظر: فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث هجري، ص 24.

[2]- ينظر: محمد يونس عبد العال، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص ص 165.

[3]- ينظر: عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط2 بيروت، 1976، ص 454.

للرسائل الاخوانية قيمة بالغة الأهمية فهي من ناحية تظهر قدرة الأديب على التلاعب باللفظ والمعنى مع قوة السبك وجزالته والاستعانة بالبيان والبديع كما أنها من ناحية أخرى تزخر بقيمة كبيرة من حيث ثقافتها واحتوائها على العديد من الأشعار العربية، وكذلك تضمنها على الأمثال وحتى القرآن الكريم.

وعن قيمة الرسائل الإخوانية يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «وقد اعترف النقاد بقيمة الرسائل الإخوانية لاشتراك الكافة في الحاجة إليها وإذا كان الكاتب ماهرا مدرسا بالكتابة تسهل له فيها مالا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها رسوم وصيغ لا تتغير »[1].

كما تدور أغلب موضوعات الترسل الإخواني حول الجانب الإنساني وما يرتبط به من صداقة وأخوة وعواطف نبيلة، وما يتصل بالصداقة كما عبرت عما كان بين الأصدقاء من تبادل للهدايا على اختلافها، لكن يبقى موضوع الصداقة من أبرز الموضوعات التي اجتذبت الكتاب فعبروا في رسائلهم عن هذه العاطفة الإنسانية النبيلة،وأشادوا بروابط الإخاء والمودة التي تنعقد بينهم [2]

لقد اتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانه لمعروف أسدوه إليهم أو خيرا اختصوهم به أو معروف أحاطوهم به.

ولم تختصر الرسالة الإخوانية على ما سلف ذكره من موضوعات بل امتدت إلى موضوعات أخرى لتشارك الشعر وفنون أخرى فيما طرقت من موضوعات وأغراض فتناولت موضوع الاعتذار باعتباره يميل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب فكان الكاتب يعتذر عن تلبية دعوة أو المشاركة في إحدى المناسبات ذاكرا له الأسباب التي حالت دون تلبية دعوته وطوع الكتاب الرسالة الإخوانية لموضوعات أخرى كالوصايا والتشفع فكان الكاتب يوجه رسالة إلى بعض إخوانه يسألهم فيها إنجاز أمر يتعلق به أو بأحد معارفه وأصحابه، وكانت هذه الرسائل أشبه ببطاقات التوصية وفيها يعمد الكاتب إلى الإيجاز وعرض مسألته في عبارات قصيرة، وكانت التهاني من الموضوعات التي شغلت مساحة من الرسائل الإخوانية لتعكس بذلك عادة اجتماعية وثيقة صلة بالمجتمعات المتحضرة، فكثرت التهاني بالولاية وغيرها من المناسبات الاجتماعية السارة كالزواج والإنجاب والعودة من السفر، وعكست هذه الرسائل عمق العواطف المتبادلة بين الكتاب،

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص، نفسها.

[2]- ينظر : فوزي سعدي، الترسل في القرن الثالث هجري، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص 35- 36.

كما أظهرت براعة بعض الكتاب في التعبير عن معانيهم وقد عمد الكتاب في تهانيهم الأخيرة إلى الإيجاز لتصبح رسائلهم أقرب إلى بطاقات التهنئة المتداولة في الوقت الحاضر[1].

ومنه نستنتج أن الرسائل الديوانية والإخوانية كانت من أهم الرسائل المتداولة التي تنوعت موضوعاتها وأعلامها، ولعل الفروق الجوهرية بينهما تنقسم إلى قسمين أحدهما خاص باللفظ والآخر بالمعنى فأما ما يخص اللفظ نجد أن كاتب الرسالة الإخوانية حر قيما يكتبه لا تحده قواعد رسمية ولا ألفاظ منتقاة كما هو الحال في الديوانية وبالنسبة لناحية المعنى فنجد مواضيع الرسالة الديوانية متعارف عليها فلا تخرج عن إطار الحكم وما يتعلق به من عهود الخلفاء وأخبار الولايات والجهاد والمواسم الدينية...أما الإخوانية فهي بعيدة كل البعد عن الديوان وكل ما يمد له بصلة فأغراضها جمة تتنوع بتنوع الروابط والصلات بين الأفراد من تهنئة وتعزية وشكوى وعتاب... وغيرها.

ج- الرسائل الأدبية:

تتصل هذه الرسائل بالأخلاق وسوك الناس والسياسة والحكم والأمثال، وتدور حول وصف الطبيعة والسيف، والقلم، الرحلات، والشعوبية، وحث الحكام على توجيه الكلمة وحث الشعب مقاتلة العدو والشكوى، ونقد الحكم وتصوير المجتمع وحياة الأفراد و سلوكاتهم المعيشية .

ويعرفها"حنا الفاخوري": «أما الترسل الأدبي فقد انصرف إلى جميع الكتاب واحتوى على الاخوانيات بأصنافها والمناظرات والمناقشات والمقدمات والقصص الخيالية ...»[2]

ويخلط بعض الباحثين بين الرسالة الأدبية و الإخوانية فيعتبرها نوع واحد ولكن فوزي سعد عيسى يرى أن هناك فرق بين النوعين فالرسالة الإخوانية تقتصر على لون من التراسل بين الكتاب والأدباء يعالجون فيه موضوعا من الموضوعات التي تتصل بالعلاقات الاجتماعة أو الشخصية، فيتخذون الرسائل أداة لتصوير عواطفهم،أما الرسالة الأدبية فتعالج ما يصل بالأدب والفكر من موضوعات، ومن أمثلتها رسالة ابن المدير إلى الكتاب رسائل الجاحظ، وتتدرج في الرسالة الأدبية كذلك رسائل المناظرات والجدل والرسائل الوصفية وغيرها، ومع ذلك فالرسالة الأدبية أعم وأشمل من الرسالة الإخوانية،

[1]- ينظر : المرجع السابق، ص 38، 39، 45،46.

[2]-ينظر: حنا الفخوري، في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، ط2، بيروت، 1991، ص 43.

بحيث يمكن إطلاقها على الرسائل الإخوانية وغيرها لأن الأصل في الرسالة أنها أدبية بينما لا يمكن تسمية الرسالة الأدبية الصارفة بأنها رسالة إخوانية[1].

كما أن الرسائل الأدبية تتميز بأنها مطولة يكتبها البلغاء يسجلون فيها خواطرهم ويدنون آراءهم فيما يعني لهم من شؤون الاجتماع أو الفكر أو الأدب، أو يعملون على تأييد مذهب وتفضيل فريق على فريق، أو يكتبونها في الترويج عن النفس أو الفاكهة والسخرية ونحو ذلك[2].

وما نخلص إليه من خلال هذا الطرح هو أن الرسالة من الفنون النثرية، وهي تستخدم لقضاء حاجات فردية واجتماعية، وبسبب البعد الجغرافي الذي يفصل بين الناس فيلجأون إلى كتابة هذه الرسائل للاستعانة بها على قضاء حاجاتهم، وعليه فقد أصبح للرسائل قيمة كبرى في المجتمع الإسلامي ولا سيما الرسمية منها، وهذا نظرا لدورها المهم في تنظيم الحياة الدينية والدنيوية للمسلمين، ولهذا كله فإننا قد وجدنا الكثير ومند القديم من اهتموا بهذا النوع من الفنون النثرية.

[1]- ينظر: فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث هجري، ص 53.

[2]- ينظر : أمين أبو ليل، محمد ربيع، تاريخ الأدب الغربي- العصر العباسي الأول- الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006، ص 215.

الفصل الثاني: دراسة في المحتوى لكتاب"الشعلة الزرقاء "

المبحث الأول: الفنون والموضوعات التي تضمنتها الرسائل المتبادلة بين جبران ومي

المبحث الثاني: الأدوار التي قامت بها الرسائل بين جبران ومي

المبحث الثالث: الأساليب الفنية والأدبية

تمهيد

أدب "جبران خليل جبران" لا تعكسه فقط مؤلفاته الأدبية وأثاره الفلسفية أو لوحاته التصويرية والتي أفاضت قريحته وعبقريته على المعمورة، بل تعكسه أيضا على رسائله التي كتبها إلى بعض أدباء عصره.

ولقد سجلت لنا سيرته الأدبية والفنية أن أهم اسم أفرد له مساحة من مخفقات قلبه، ومنحه من أنفاسه، واقتطع له وقتا من حياته،هو اسم "مي زيادة"، الأديبة العربية الشهيرة التي لمعت من خلال صالونها الأدبي الذي فتحته أما أدباء عصرها كل يوم ثلاثاء في العشرينيات من القرن الماضي بالقاهرة[1].

فالعلاقات التي تجمع بين المفكرين والأدباء على اختلافها كثيرا ما تنتج أنواعا من الفكر الراقي والأدب الرفيع على نحو ما فعلت العلاقة التي تجمع بين الأديب جبران خليل جبران والأديبة مي زيادة، هذه العلاقة الفكرية والأدبية التي تقوم على أساس الحب أو الإعجاب بين مفكر ومفكرة أو كاتب وكاتبة، وتنشأ عنها أفكار فلسفية أو إبداعات أدبية يختلط فيها الفكري بالوجداني والموضوعي بالذاتي، والطموح بالواقع، ما يتحف القراء ولو بعد حين بخلاصة ذلك الانجذاب الإنساني، والحوارات الشيقة التي تتبادلها تلك العقول النيرة والأخيلة الخصبة والمشاعر المرهفة، فعلاقة جبران بمي خير مثال على العلاقة الثنائية البناءة بين مبدع ومبدعة.

ومما لا شك فيه أن المادة الأدبية في تاريخ الأدب الخالد.. والتي تحكي قصة" جبران ومي "، هي مادة لا تنفد..ولا تشخ..ولا تبلى..ولا يلوح عليها التكرار أبدا..فإنه مهما كتب .. ومهما قيل.. ومهما قدم.. من الدراسات لتحليل هذين الشخصيتين الفريدتين من نوعيهما..فغن القارئ لا يمل ولا يكتفي..ولا يرتوي من الإقبال على ما يقدم..أكثر وأكثر عن جبران ومي[2].

شغلت علاقة جبران بمي الجزء الأكبر من كتب وأبحاث الباحثين، لأنها أهم علاقة في حياة مي، وأهم ما يدعم هذه العلاقة ويؤكدها في نفس الوقت الرسائل المتبادلة بين

[1]- ينظر: عمر بو شموخة، الإبداع في الفن الأدبي، منشورات، آبيك، متيجة، الجزائر، د،ط، 2007، ص 54.
[2]- ينظر: لوسي يعقوب، الملامح الخفية لجبران ومي، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د،ط، د،ت، ص5.

الاثنين، وما يتخللها من تعبيرات رقيقة وعبارات عذبة حالمة تنم عن الشوق والانتظار واللهفة [1].

إن اللقاء الأول بينهما كان على الورق، بدأته مي برسالة من قارئة وأديبة إلى أديب كبير، كانت قد انتهت من قراءة"قصته مرتا البانية" وأعجبت برأه وأشعاره، وخطر لها أن تراسله وتحدثه عن كتاباتها ومشاعرها الأدبية وتعبر له عن رأيها بكتاباته المتحررة وأسلوبه الإنتقاذي وتعرض عليه رأيها في كتاباته التي تناول فيها حرية المرأة.

إذ وافقته في بعض منها وعارضته في بعضها الأخر، وقالت في بداية رسالتها: « اسمي مي، وهو اختصار ماري العربية وأوقع باسم"إيزيس كوبيا" بالفرنجية، غير أنه لا هذا اسمي ولا ذاك، إني وحيدة والدي وإن تعددت ألقابي...»[2]

لما تسلم جبران أول رسالة من مي تلمس في كلماتها روحا أدبية موهوبة، فلم يهمل رسالتها وردّ عليها متحدثا على نفسه: « أما أنا قد ورثت عن أمي تسعين بالمائة من أخلاقي وميولي ولا أعني بذلك أني أشبهها بالحلاوة والوداعة وكبر القلب، وأني أذكر قولها لي مرة وقد كنت في العشرين، لو دخلت الدير لكان أفضل لي وللناس، فقلت نعم، ولكن قد اتخذتك أما قبل أن أجيء إلى هذا العالم فقالت لو لم تحب لبقيت ملاكا في السماء، فقلت: ولم أزل ملاكا فتبسمت وقالت: أين أجنحتك؟ فوضعت يدها على كتفي وقلت: هنا، فقالت، لكنها متكسرة، وبعد هذا الحديث ذهبت أمي إلى ما وراء الأفق الأزرق، أما كلمتها "متكسرة"، فظلت تتمايل في مسمعي ومن هذه الكلمة غزلت ونسجت كتابي الأجنحة المتكسرة»[3]

كان جبران في الغربة يعاني ألم الوحدة والقلق النفسي، الذي لا يدري مصدره، صدر كتاب الأجنحة المتكسرة أهدى نسخة منها إلى مي وطلب منها إبداء رأيها بالقصة.

قرأت مي القصة وأعجبت بها وكتبت رسالة إلى مؤلفها جبران تبلغه إعجابها بها وبما قرأت من كتاباتها وعدّته أستاذا لها في موضوعات كثيرة، لقد كانت بداية العلاقة بينهما مبنية على أساس إعجابها بمؤلفاته رغم أنها في كثير من الأحيان كانت تخالفه

[1]- خالد محمد غازي، مي زيادة سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ط1، 2010، ص 94.

[2]- ينظر: خليل بيطار، مي زيادة ياسمينة النهضة والحرية، ص51.

[3]- خالد محمد غازي، مي زيادة سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر، ص 99.

الرأي...لقد أعجبت مي بجبران إعجاب المناقضة وهو أن يعجب المرء بصفات في إنسان آخر ويتمنى أن تكون موجودة فيه هو، فمي في وضوح تفكيرها واستقامة سلوكها هي في الحقيقة تقيض جبران...[1]

وتواصلت الرسائل بينهما وتنام بينهما حب عميق نادر متوج بين دُلّ الشكوى ومرارة البوح وعمق الصمت وقوة الاستمرار رغم بعد المسافة بين نيويورك ومصر وتقلبات الأيام.[2]

تركت هذه العلاقة الفريدة العجيبة تراثا أديب رفيع المستوى تمثل في تلك الرسائل المتبادلة بين جبران ومي، حقا إنها ثروة أدبية حقيقية من نصوص كتبها أديبان توهج قلباهما بالحب واحتراق بالغرب وتعذب بالحرمان.

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 100.

[2]- خليل بيطار، مي زيادة ياسمينة النهضة والحرية ص 52.

المبحث الأول: الفنون والموضوعات التي تضمنتها الرسائل المتبادلة بين جبران ومي

1- الفنون:

استطاع الرسم في تاريخنا أن يغطي أنواع الفنون التشكيلية الأخرى، وأن يستحوذ على الحيز الأكبر لكلمة "الفن" وأضحت كلمة"فنان" مرادفة لكلمة رسام، وقد طرق جبران هذا المجال إذ أبدع في رسائله إلى مي برسومات أضفت على تلك الرسائل روحا جبرانية ميزتها كل التميز عن غيرها من الرسائل في تلك الفترة.

وقد لمع جبران في رسم العديد من وجوه العظماء الذين يجلهم، وعدد آخر من وجوه معاصريه، فقد كان من الذين يتجاوزون حدود العقول لشطر اللاوعي في فضاء الوعي، ليعود بالرموز والصور ومن أمثلة ذلك نذكر رسمه للشلال سيلا من العاريات، ينزلق بخفة وعزم واتساق النظام الكوني، والجبل عنده كتلة من الصخر والتراب، ولعل مذهب جبران يتمثل في القول المنسوب له "إن الحياة عارية، والجسم العاري هو أقرب وأجمل رمز للحياة، فإذا ما صورت جيلا في شكل كومة من الأجسام العارية، أو شلال في هيئة سلسلة من الأجسام العارية الهاوية من فوق إلى تحت، فلأني أرى الجبل كومة من كوم الحياة والشلال مجرى من مجاري الحياة"[1]

*

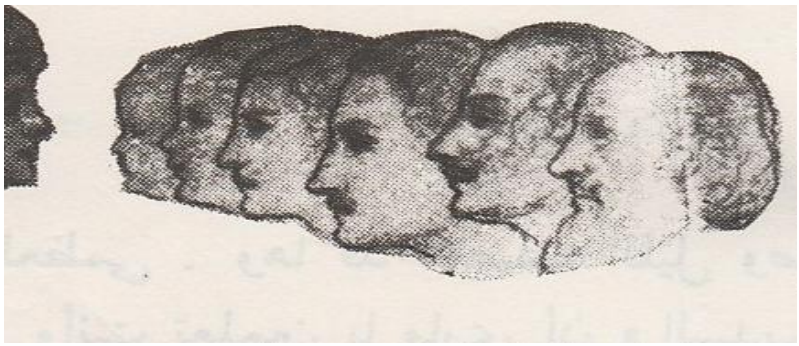

وما جعل جبران يتميز كل هذا التميز هو رعاية ماري هاسكل له من خلال دعمها إذ أرسلته إلى باريس لتعلم الرسم، ووفرت له راتبا يعادل 2000 دولار في يومنا هذا وكان يكتب عن هاسكل قائلا: " إنها ملاك يهني إلى مستقبل مشرف، يشق لي طريق النجاح

[1]- ينظر: زطشي زكا- بين نعيمة وجبران مكتبة المعارف-بيروت- ط3، أكتوبر 1988م، ص 87.
*- سلمى الحفار الكزبري و سهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 89.

الفكري والمادي على حد سواء، وإن اليوم الذي سأقول فيه: لقد أصبحت فنانا بفضل ماري هاسكل قادم لا محالة"[1].

وقد كانت رسومات جبران مثل كتاباته حافلة بالرمزية والمثالية، بأسلوب الفنان الجذاب، يرسم كما يكتب ويكتب كما لو كان يرسم وخير دليل على هذه الرسومات ما رسمه في رسالة بعث بها إلى مي زيادة بتاريخ 17كانون الثاني 1964م والتي كانت عبارة عن أجساد عارية اجتمعت في كنيسة والأسى والحزن بادٍ على وجوهها وكأن قوة خفية تدفعها إلى أعلى ثم تهوي بها إلى أسفل وكأنها ماء نافورة ارتفع في الهواء ثم ما لبث أن عاد فاندثر على أرض الحوض قطرات فحيران أراد من خلال هذا الرسم ،إن يصورها فورة الألم[2].

لم يكن جبران يرسم العري بالمعنى المعروف، لم يرسم رجلا أو إمرة بل الجسد البشري عاريا ذلك العُري الذي يشبه أجساد الملائكة العارية في اللوحات الكنيسة الدينية القديمة جسدا يتوق السمو، فكانت تلك الأجساد محاطة طبيعة روحانية مكثفة.[3]

*

[1]- ينظر: توفيق صايغ أضواء جديدة على جبران، بيروت، الدار الشرقية، د،ط، 1966، ص 29.* سلمى الحفار الكزبري

[2]- المرجع السابق، ص 137.

[3]- ينظر: ثروت عكاشة، جبران خليل جبران، النبى، ط1، القاهرة، الدار المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1993م، ص 30.

*- سلمى الحفار الكزبري و سهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 115.

ولعل أروع تلك الرسومات ما استلهمه من الصورة التي بعثت بها مي زيادة إلى جبران خليل جبران بتاريخ شهر حزيران سنة 1921م إذ رسمها أحسن رسم إن لم نقل صورها أحسن تصوير نافس بها كبار الفنانين , وغيرها من الرسومات في فن جبران كثير منها يعكس حبه لمي وذلك من خلال رسمه يد مبسوطة تحمل شعلة وكأنما يؤكد لها به أن شعلتهما الزرقاء لن تنطفئ أبدا وكان هذا الرسم أخر ما بعث به جبران إلى مي في رسالة مؤرخة في 26 مارس 1991م[1]

ثم كتب لها في تلك الرسالة المرفقة بهذا الرسم يقول: «...وبعد التعييد جلسنا، أنت وأنا، بعيدين إلا عما بنا وتحدثنا طويلا، وقلنا مالا يقوله سوى الحنين، وقلنا مالا يقوله سوى الأمل، حدقنا بنجم بعيد وسكتنا، ثم عدنا إلى الكلام فتحدثنا حتى الفجر، وكانت يدك المحبوبة فوق هذا المكان الدفاق حتى الفجر»[2]

*

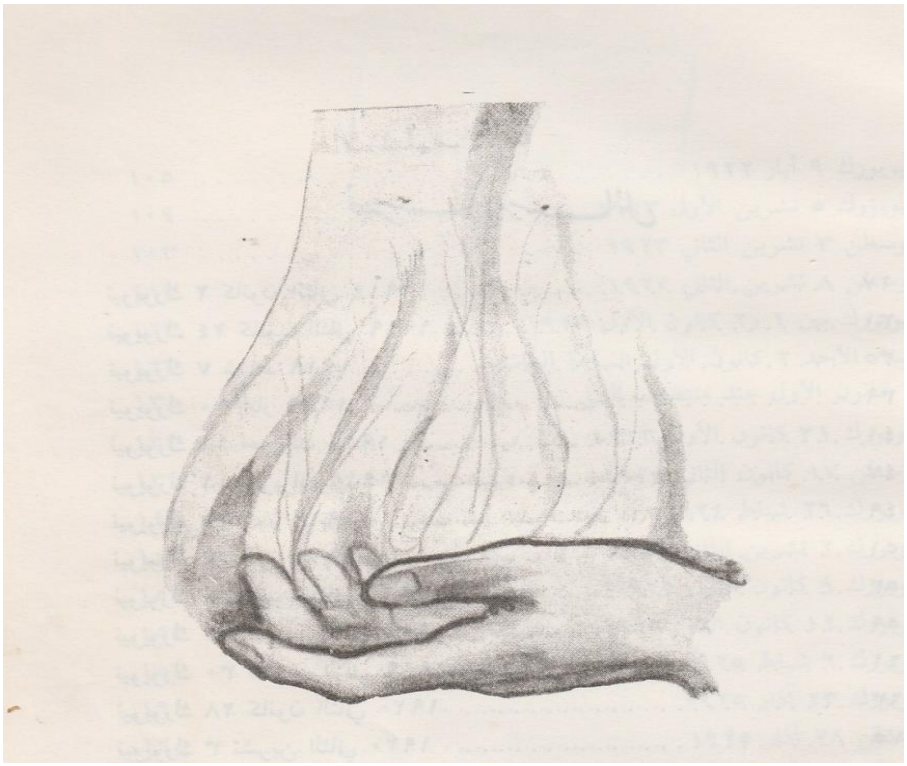

[1]- ينظر : المصدر السابق، ص185.
[2]- المصدر نفسه ،ص 155.
*- المصدر نفسه ، ص 281.

ثم علقت مي على رسم الشعلة في راحة اليد على أرسله إليها بقولها:" أما اليد فسأحيطهما بإطار خفيف بسيط، وستكون أبدا على منضدتي هذه لتحدثني عن الإخلاص , وتدفئ روح بصورة لهيبها" [1].

وبين أيدينا رسالة طريفة، مخطوطة، من جبران في الشعلة الزرقاء مؤرخة في أواخر الشهر أيار سنة 1925م، تشير إلى أن مي بعثت إليه بقصيدة لأمير الشعراء، دون أن تخط إليه كلمة واحدة، والأرجح، أنها أرادت استفزازه على سبيل المداعبة، إذ استهل رسالته إليها بهذه العبارات، ورسم في صفحتها الأولى سيفا يقطر دما، يقول فيها: (ما قولكِ في رجلٍ من عقلته صباحا فيجد إلى جانب فراشه رسالة من صديقة يحبها، فيقول بصوت عال:«صباح الخير أهلا وسهلا » ثم يفتح الرسالة بلجاجة العطشان، فماذا يجد؟ لا أكثر ولا أقل من قصيدة لشوقي بِكْ)[2]

*

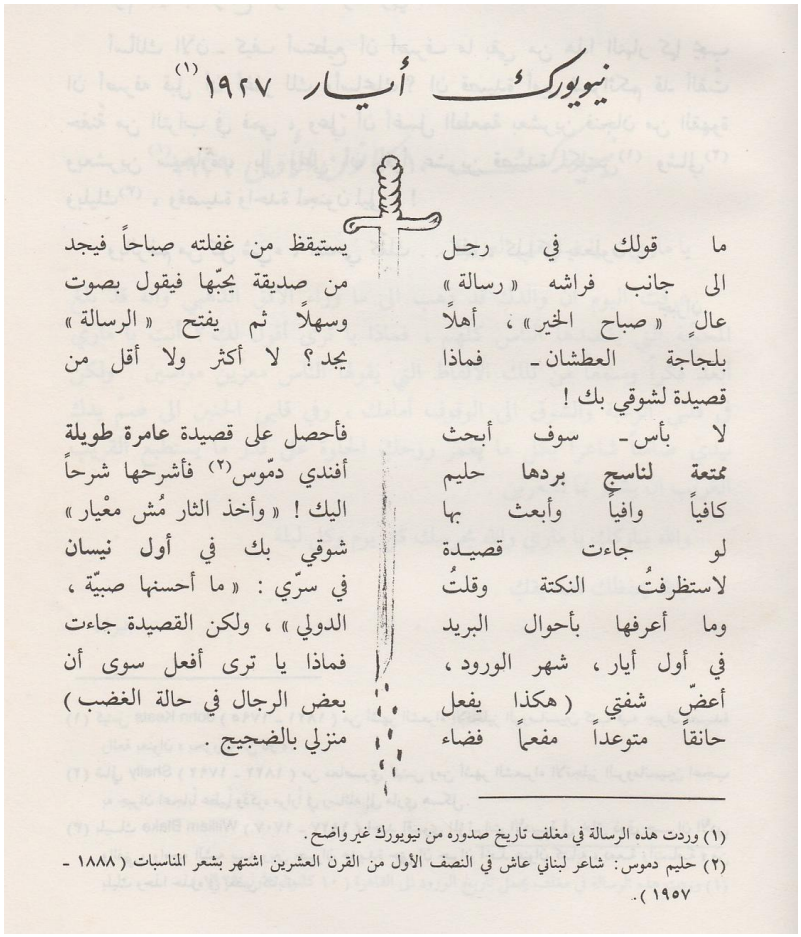

نيويورك أيار ١٩٢٧ (١)

ما قولك في رجل
الى جانب فراشه « رسالة »
عالٍ « صباح الخير » ، أهلاً
بلجاجة العطشان ـ فماذا
قصيدة لشوقي بك !
لا بأس ـ سوف أبحث
ممتعة لناسج بردها حليم
كافياً وافياً وأبعث بها
لو جاءت قصيدة
لاستظرفتُ النكتة وقلتُ
وما أعرفها بأحوال البريد
في أول أيار ، شهر الورود ،
أعضّ شفتي (هكذا يفعل
حانقاً متوعداً مفعماً فضاء

يستيقظ من غفلته صباحاً فيجد
من صديقة يحبّها فيقول بصوت
وسهلاً ثم يفتح « الرسالة »
يجد ؟ لا أكثر ولا أقل من

فأحصل على قصيدة **عامرة طويلة**
أفندي دمّوس(٢) فأشرحها شرحاً
اليك ! « وأخذ الثار مُش معْيار »
شوقي بك في أول نيسان
في سرّي : « ما أحسنها صبيّة ،
الدولي » ، ولكن القصيدة جاءت
فماذا يا ترى أفعل سوى أن
بعض الرجال في حالة الغضب)
منزلي بالضجيج .

(١) وردت هذه الرسالة في مغلف تاريخ صدوره من نيويورك غير واضح.
(٢) حليم دموس: شاعر لبناني عاش في النصف الأول من القرن العشرين اشتهر بشعر المناسبات (١٨٨٨ - ١٩٥٧).

[1]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة، أو مأساة النبوغ، ص68.
[2]- المرجع نفسه، ص 96.
*- سلمى الحفار الكزبري و سهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 181.

أثرت هذه الرسالة تأثيرا بالغا في روح مي حيث تحققت من خلالها أن حبه يرتعش في مائها، وأنه يحيا فيها وتحيا فيه، ومنذ ذلك التاريخ تجلى سحر الحب في مقالات كتبتها وعالجت فيها موضوعات الحب والشوق والسعادة، كمقالتها (الصيحة الأخيرة) التي نشرنها في شهر حزيران سنة 1923م، وختمتها بهذه العبارات:(إن الثروة والجاه والصولجان هباء خيال ذلك التنوع السري المترنم في خلوة القلب، وإن من سعد باكتشافه نال أعذب وأخصب ما في وسع الحياة أن تقدم لأبنائها، المعذبين)[1]

لقد سعدت مي بحب جبران وهل من سعادة أكبر من أن يشعر الإنسان أنه عاشق ومعشوق؟ وشقيت بهذا الحب لبُعْدِ الحبيب عنها، وعلمها باعتلال صحته وأضحت كالأم الحنون تتقسط أخباره بتلهف، وتسأل عن أحواله، فيباد لها حنانا بحنان، وكأنه أب مأخوذ بصغيرته يسمك بيدها على درب الحياة، ويفكر بها في كل حين وكل مكان، أقام في بوسطن حوالي أسبوعين في خريف تلك السنة فأرسل إليها بطاقات بريدية تمثل لوحات في المتحف، وخطّ عن ظهرها رسائل قصيرة علّق فيها على فن ميجيلا نجلو والنحاتين اليونان، وختم كل بطاقة بع نجلو والنحاتين اليونان، وختم كل بطاقة بعبارة «وأسعد الله مساء الوجه الحلو»[2].

*

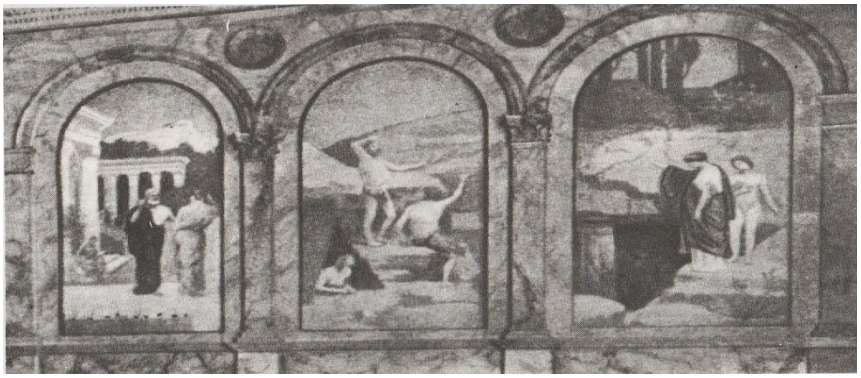

[1]- ينظر: مي زيادة، الصحائف، ص 186، نقلا عن مجلة المرآة الجديدة، عدد حزيران 1923م.

[2]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 135، 139.

*- المصدر نفسه، ص 248،249

كما ضمن جبران في رسالته لمي المؤرخة في 2 تشرين الثاني 1924 رسما لصورته وقد لمح لها في رسالة لاحقة برغبته في الحصول على صورة لها، ويبدو أنها لبت طلبه وأرسلت إليه صوتها وهي بعد فتاة يافعة، إذ كتب إليها في شهر حزيران سنة 1921م يعبر عن فرحة بها ويصفها بهذه العبارات:(يا مي، يا صديقتي، ما أجمل هذه الصورة وما أجمل هذه "البنية"، وما أوضح دلائل الذكاء في عينيها، وأمارات الاختيار النفسي في معانيها، لا لم أر في حياتي وجه صغيرة مثل هذا الوجه، تفرسه سنة 1944م، لقلت:(إن وراء هذه الجبهة قوة غريبة ستظهرها الأيام، ووراء هذا الثغر أغنية "سترسلها الليالي" ما أجمل هذه الصورة يا مي، وما أسعدني بها، إنني أحب هذه الصورة حبا عظيما، وسوف أحصل على صورة أخرى أحدث عهدا إن شاء الله، إن شاء الله)[1]

*

*

[1]- ينظر: مي زيادة وأعلام عصرها، سلمى الحفار الكزبري، ص 157.

*- سلمى الحفار الكزبري و سهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 153

* -المصدر نفسه، ص 3.

ونستشف من تتمة الرسالة أن مي أرفقت صورتها برسالة من نوع جديد، وبلهجة استنكرها فعاتبها على تلك الصيغة «الرسمية» قائلا(الله الله يا دنيا...)، وأعلمها على سبيل المداعبة بأنه سيذهب إلى الغابة فيكتب إليها رسالة طويلة بقلم الرصاص، على ورق مربع التسطير، خالية من كل ما في الاجتماع من الكلفة، ويظل محتفظا بها ليختبر ما اختبرته مي من اللذة النفسية باحتفاظها برسالتها...[1]

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن جبران خليل جبران يعتبر من أهم العقول المفكرة والمجدِدةِ في الأدب الحديث، فتميز عن غيره بشخصية قوية والتي سما بها إلى عيون وقلوب محبيه، غير أن هذه الشخصية التي حظيت باهتمام كبير من طرف الكتاب والأدباء، والدارسين لم تعمر طويلا، فسرعان ما نهش مرض السل جسمه الضعيف ونال منه لكنه لم ينل من عزيمته وحبه للفن والعطاء، فلم تصرفه العلة المتفاقمة على العمل المرهق كتابة ورسما[2].

2- موضوعات الرسائل:

أ - الأدبية والفكرية:

لقد سمعت مي بجبران قبل أن يسمع عنها شيء، وذلك عندما قرأت له مقالة عنوانها" يوم مولدي" فأعجبت بالمقالة وأخذت تتابع ما ينش إلى أن قرأت " الأجنحة المتكسرة " فبادرته بالمراسلة سنة 1912، تعرفه بنفسها، وتثني على أسلوبه وتناقش آرائه في الحب وأطواره والزواج و قيوده بهذه العبارات.

"إننا لا نتفق في موضوع الزواج يا جبران، أنا أحترم أفكارك، وأجل مبادئك، لأنني أعرفك صادقا في تعزيزها، مخلصا في لدفاع عنها، وكلها ترمي إلى مقاصد شريفة، وأشاركك أيضا في المبدأ الأساسي القائل بحرية المرأة فكالرجال يجب أن تكون المرأة مطلقة الحرية بانتخاب زوجها من بين الشبان....[3]"

ثم حدثته عن الأمانة الزوجية وقيود المرأة المتزوجة تمهيدا لنقدها الشديد لجنوح بطلة روايته سلمى كرامة إلى الاجتماع بصديق لها غير زوجها الذي لم تجد له مبررا : حتى وإن كان القصد من اجتماعهما الصلاة عند فتى الأجيال المصلوب ؟ وقد أعجب

---

[1]- المرجع السابق، ص 157.

[2]- ينظر: جميل جبر، المجموعة العاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجيل، بيروت، د،ط، ض 38.

[3]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 13.

جبران بأسلوبها وجرأتها في هذه الرسالة كما لمس من خلالها نفسها مهمومة مثل نفسه، ورد عليها كما يتخاطب كاتبان معجبان الواحد بالآخر يعالجان قضايا الفكر والفن بأسلوب أدبي يسوده الاحترام المتبادل.

وفي رسالته إليها المؤرخة في 2 جانفي 1914م يبدو أنها حدثته عن روحها الشريرة على سبيل المداعبة وعن ولعها بركوب الخيل، وبالعزف على البيانو والعود وإعجابها بالدكتور شيلي الشميل إذ جاء فيها قوله : "غير أنني لم فهم الأسباب الحقيقية التي دعتك إلى استخدام الشر ضدي، فهلا تكرمت بإفهامي ؟ قد أجبت على كل رسالة تكرمت بها علي، واسترسلت متعمقا بمعاني كل لفظة تعطفت بهمسها في أدني، فهل هناك أمر آخر كان يجب علي أن أفعله؟" [1] ...وقد شاطرها جبران في هده الرسالة الإعجاب بالدكتور شميل، ومجلة الفنون وحدثها عن حبه الكبير للموسيقى، وفي مضمون هذه الرسالة مدى ارتياح مي لجبران وانجذابها إليه ما دفعها إلى الكتابة عن نفسها وخصوصياتها، والمزاح والمداعبة مما لم تفعله مع أحد غيره من الأدباء والأصدقاء في حياتها، ونستدل كذالك في رسالة جبران إليها انه كان سعيدا بالتعرف عليها، ومهتما بكل كلمة تقولها له وحريصا على متابعة الحديث الذي ابتدأ به مند عامين "والآن وقد فهم كل منا ما في روح الآخر والميل إلى الإقصاص فلنعد إلى متابعة الحديث الذي ابتدأنا به منذ عامين "[2] ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدى إلى انقطاع الحديث بانقطاع البريد بين الشرق والغرب ولكن قلب مي ظل يهفو إلى جبران السنوات التي توقفت فيها المراسلة بينهما.

وعندما انتهت الحرب الكبرى توالت الرسائل الودية والمساجلات الأدبية بين مي وجبران كما أبدت مي بصراحة نقدها لبعض نتاجه كما يتضح من الرسائل غير أن جبران استقبل نقدها بقلبه الكبير ولم يظهر أي ردة فعل قاسية اتجاه ما كتبته وخاطبها قائلا : "كيف لا أقبل وخزة صغيرة من يد عطرة مفعمة بالجواهر؟ فانا أقبل كل ما تقولينه لاعتقادي بأنه يجمل بنا ألا نضيف فترا واحدا إلى هذه المسافة الشاسعة بيننا، بل نحاول

[1]-ينظر: المصدر السابق، ص 27.
[2]- ينظر الصدر نفسه، ص 28.

تقصيرها بما وضعه الله فينا من الميل إلى الجميل والشوق إلى المنبع والعطش إلى الخالد..."[1]

وبعد أن أثنى على دوقها الأدبي وثقافتها الكبيرة وموهبتها رجاها باسم الفن أن تطرح الأبحاث التاريخية والاجتماعية جانبا لتتصرف للتعبير عن خلجات نفسها وقد ختم الرسالة بقوله (ليس ما تقدم سوى شكل من الاستعطاف باسم الفن فأنا استعطفك لأني أريد أن استميلك إلى تلك الحقول السحرية حيث "سافو" و"اليزابيث براوتغ" و"أليس شراينر" وغيرهن من أخواتك اللواتي بنين سلما من الذهب والعاج بين الأرض والسماء) [2]

وقد أهدى إليها كتباه "المجنون" الذي صدر باللغة الإنجليزية سنة 1918م وانتقدته مي في مقال جريء نشرته في المحروسة: اطلع عليه، إذ عاتبها قائلا: (أنا للآن لم أسمع مثل هذا الانتقاد مع أنني قرأت الكثير مما نشرته جرائد ومجلات أميركا وانكلترا في الكتاب الصغير، والغريب أن أكثر الأدباء الغربيين قد استحسنوا القطعتين « the sleep walkers» ، «my mind» واستشهدوا بها أمال أنت يا صديقي فقد وجدت فيها القصوى وماذا ينفع الإنسان إذا ربح استحسان العالم وخسر استحسان مي؟) [3]

توالت الرسائل الأدبية بين جبران ومي وأهدى إليها كتابه "المواكب" فكتبت عنه دراسة نقدية نشرتها في المحروسة وأرسلت إليه نسخة من الجرائد وثلاث رسائل تسلمها دفعة واحدة، فكتب إليها خطابا طويلا من أجمل خطاباته اعتبر فيه رسائلها ثروة جلية، ويبدو أنها عرفته في إحدى رسائلها بسبب كلمة كتبتها لم ترق لها وملاحظة أوردها إذ كتب يقول:(لقد انصرفت عن كل ما وجدته بانتظاري في هذا المكتب لأصرف نهاري مصغيا إلى حديثك الذي يتمايل بين العذوبة والتعنيف أقول التعنيف لأني وجدت في رسالتك الثانية بعض الملاحظات التي لو سمحت لنفسي الفرحة أن تتألم لتألمت منها...)

وقد بعث جبران لمي ببطاقة دعوة لحضور معرض فني اشترك فيه بعرض بعض رسومه، وكتب عليها بخطه (هذه دعوة إلى وليمة فنية فهلا تكرمت وشرفتينا !) ثم أرسل إليها بطاقة دعوة أخرى لحضور أمسية أدبية في أحد نوادي نيويورك، وكتب عليها بخطه، وباللغة الإنجليزية (حبذا لو كنت هنا لتعيري إلى صوتي أجنحة، وتحيلي همها تي إلى

---

[1]- ينظر : المصدر السابق، ص 42.

[2]- ينظر، سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة أو مأساة النبوغ، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، ص25.

[3]- ينظر: المرجع نفسه ص 27.

تراتيل، ومع ذلك سوف أقرأ وأنا واثق أن لي بين الغرباء صديقا لا يرى يسمعني، ويبتسم لي بعذوبة وحنان) [1]

وردا على تأسفها لاستحالة تمكنها من حضور ما أسماه "الوليمة الفنية" كتب إليها رسالة رائعة مطولة جاء فيها قوله: (أنت تتأسفين لأنك لم تستطيعي الحضور إلى الوليمة الفنية، وأنا استغرب أسفك هذا، أستغربه جدا: أفلا تذكرين ذهابنا سويا إلى المعرض؟ هل نسيت انتقالنا من صورة إلى صورة؟ هل نسيت كيف سرنا ببطئ في تلك القاعة الواسعة نبحث وننتقد...) [2]

ثم علق في رسالة لاحقة على كتابها "باحثة البادية" الذي بعثت به إليه بعبارات يملأها الإعجاب والتقدير، وعكف بعد ذلك على الأسئلة التي طرحتها عليه يجيب عليها بإسهاب وسرور كقولها: « كيف حاله؟ وماذا يكتب؟ وهل منذ الصباح؟»

ب- العاطفية:

يفتح جبران في رسالة إلى مي بابا للمكاشفة بحبه يقول لها: (ما أجمل رسائلك يا مي وما أشهاها، فهي كنهر من الرحيق يتدفق في الأعالي، ويسير مترنما في وادي أحلامي، بل هي كقيثار أورفيوس تقرب البعيد وتبعد القريب، وتحول بارتعاشاتها السحرية الحجارة إلى شعلات منتقدة والأغصان اليابسة إلى أجنحة مضطربة...) [3]

وفي رسالة أخرى يصارحها علنا برابطة الحب التي يكنها اتجاهها:

(في هذا التفاهم بين روحين يا "مي" أغنية عميقة هادئة نسمعها في سكينة الليل، فتنتقل إلى ما وراء الليل، إلى ما وراء النهار، إلى ما وراء الزمن، إلى ما وراء الأبدية، لقد حاولت في ما تقدم إبلاغك مالا ولن يبلغك إياه إلا ما شابهه في نفسك، فإن كتب أتيت سرا معروفا لديك، كنت من أولئك الذين قد أحبتهم الحياة، وأوقفتهم أمام العرش الأبيض)[4]

وترى مي هذه الرسائل نذيرا لعاصفة حب طالما خافت التورط فيه أو ترى فيها نموذجا من رسائل حب كثيرا ما أرسل مثلها أدباء ومعجبون قبل جبران، فكانت كما تقول "سلمى الحفار الكزبري" تتردد في إظهار مشاعرها و تخشى الانطلاق على سجيتها في

---

[1]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة أو مأساة النبوغ، ص34.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ص 38.

[3]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص42.

[4]- ينظر: المصدر نفسه ص50.

مراسلته، مع أنها لم تكن في أعماقها ترفض أن تسمع من كلماته أرق ما كتب مع صيغ الإطراء والتقدير والحب [1]

ويعاتبها جبران في رسالة لاحقة على تحفظها من إظهار مشاعره النفسية التي سمتها "النشيد الغنائي" ويرجوها أن تحذف كلمة "سيدي" من معجمها في مخاطبته بوسائلها، ويلتمس تلين قلبها القاسي فيقول: (لم تكتتف صديقتي، بل ظلت واقفة بالمرصاد فلم أقل كلمة إلا ذيلتها بمسمار بعد ذلك قنطت، وليس بين عناصر النفس أمر من القنوط، وماذا أقول عن رجل أوقفه الله بين امرأتين، امرأة تحوك من أحلامه اليقظة وامرأة تحوك من يقظته الأحلام.)[2] ويبدو أن مي قد لطفت من لهجتها في رسائل لاحقة، وأظهرت له بعض عواطفها فكتب إليها: (أما اليوم فقد حرك ملاكي بركتي، ووجدت من يلقيني في الماء، أسير وفي يدي حريرية الملمس ولكنها قوية وذات إرادة خاصة، وبين آونة أخرى ألتفت فأرى عينين مشعشعتين تداعبهما ابتسامة جارحة بحلاوتها) [3]

بعد أن قاست مي من ضغط عواطفها أعواما طويلة فقد تفجرت دفعة واحدة واستسلمت لسلطان ذلك الحب الكبير فأفصحت للحبيب عنه بهذه العبارات التي تملأ العينين دموعا: (ما معنى هذا الري أكتبه؟ إني لا أعرف ماذا أعني به. ولكني أعرف أنك محبوبي. وإني أخاف الحب. إني أنتظر من الحب كثيرا. فأخاف أن لا يأتيني بكل ما أنتظر. أقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير. ولكن القليل في الحب لا يرضيني. الجفاف والقحط واللا شيء خير من النزر اليسير...) [4]

كتب جبران إليها بعد هذه الرسالة رسالة توحي بأنه ارتاع من ذلك البوح الذي يشابه تفجر البركان فقد بدأ رسالته بالحديث عن العواصف الثلجية وحبه للثلج وأكد لها بأنها رفيقته الذي يرتعش قلبه لذكرها ثم كان لا بد له من الرد عن أسئلة الحب التي طرحتها في رسالتها فقال في آخر رسالته لا في أولها: (تقولين لي أنك تخافين الحب، لماذا تخافينه يا صغيرتي؟ أتخافين نور الشمس؟ أتخافين مد البحر؟ أتخافين طلوع الفجر؟ أتخافين مجيء الربيع؟ لماذا يا ترى تخافين الحب؟ أنا أعلم أن القليل في الحب لا

---

[1]– ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، ص 255.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]– ينظر، سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص

[4]– ينظر، سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة أو مأساة النبوغ، ص 79.

يرضيك، كما أعلم أن القليل في الحب لا يرضيني، لا تخافي الحب يا ماري، لا تخافي الحب يا رفيقة قلبي، علينا أن نستسلم إليه رغم ما فيه من الألم والحنين...) [1]

وفي إحدى رسائل مي لجبران ترسل إليه صورتها التي طلبها منها فيعلق (ما أجمل هذه الصورة يا مي وما أحلى هذه البنية وما أوضح دلائل الذكاء في عينيها...) [2] ويعلق على سخرية مي من نزوعه الصوفي في حبه فيقول: (قد يختلج جسدي في بعض الأحايين اختلاج أوراق الخريف أما روحي فتبقى مستسلمة إلى أحلامها، الهادئة.

إن الله يبني تلك المنازل من عناصر لا يتأثر جوهرها من هياج عناصر أجسامنا، بل تظل مغمورة بطمأنينة علوية...) [3]

وقد يمتزج حبها لديه بحنان المرأة الأم (تسألين عن صحتي، وعندما تسألين عنها تتحول بنيتي إلى كلها حنان) وتجد مي نفسها أمام عاشق غارق في الحب حتى أذنيه. (أفكر فيك يا ماري كل يوم وكل ليلة: أفكر فيك دائما، وفي كل فكر شيء من اللذة وشيء من الألم، والغريب أنني ما فكرت فيك يا مريم إلا قلت في سري: تعالي واسكبي جميع همومك هنا، هنا على صدري) [4]

كما عبر لها في رسالة في خشيته من حدوث خصام يعكر سعادتهما فقال لها مازحا: (اسمعي يا صغيرتي الحلوة إذا تخاصمنا في المستقبل، هذا إذا كان لابد من الخصام، يجب ألا نفترق مثلما كنا نفعل في الماضي بعد كل معركة، يجب أن نبقى برغم الخصام، تحت سقف بيت واحد، حتى نمل الخصام فنضحك، أو يملنا الخصام فيذهب هازا برأسه)[5].

ونجاها بأعذب الكلام، وقال لها أنها أقرب الناس إلى روحه وأقربهم إلى قلبه، ثم أضاف يقول: (أحب صغيرتي غير أنني لا أدري بعقلي لماذا أحبها، ولا أريد أن أدري بعقلي، يكفي أنني أحبها، يكفي أنني أحبها بروحي وعقلها، يكفي أنني أسند رأسي على

---

[1]– ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص148 .

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص101.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص103

[4]– ينظر: عبد اللطيف الأرناؤوط تأملات في رسائل الأدباء، ص258.

[5]– ينظر: سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة أو مأساة النبوغ، ص 63.

كتفها كئيبا، غريبا، مستوحدا، فرحا، مدهوشا، مجذوبا، يكفي أن أسير إلى جانبها إلى قمة الجبل، وأن أقول لها بين الآونة والأخرى: أنت رفيقتي، أنت رفيقتي) [1]

وتخبره في رسالة لاحقة أنها قصت شعرها فيرجوا الله أن يغفر لها جريمتها لأنه يعشق شعرها، ويترنم بجماله مثلما يترنم بسحر عينيها الدعجاوين (إذن قصصت شعرك؟ قد قصصت تلك الذوائب الحالكة ذات التموجات الجميلة؟ ماذا يا ترى أقول لك؟ ماذا أقول وقد سبق المقص الملام؟ لا بأس، لا بأس. علي أن أصدق ما قاله لك ذلك المزين الروماني...

رحم الله أباء جميع الرومانيين.) [2]

ويعزيها عن وفات والدها عام 1929م بهذه الكلمات (عرفت اليوم أن والدك قد ذهب إلى ما وراء الأفق الذهبي وأنه قد بلغ المحجة التي يقصدها الناس كلهم، فماذا يا ترى أقول لك؟ أنت يا ماري أبعد فكرا وسمعا من تلاك الألفاظ التي يقولها الناس معزين مواسين. ولكن في قلبي الرغبة والشوق إلى الوقوف أمامك، وفي قلبي الحنين إلى ضمي يدك بيدي...) [3]

لكن جبران لم يتوقع أن الموت سيلاقيه بعد سنتين ويضع حدا لهذه العلاقة المتأججة عن بعد دون لقاء، أما مي فيصدمها وفاته، وتكتب على رسم أرسله إليها " هذه مصيبتي الكبرى" وتقل أعصابها، وتنهار فينقلها ذووها إلى مصح في لبنان، ثم تعود إلى القاهرة عليلة النفس والجسد، إلى أن لحقت إلى من أحبته إلى الموت، وظل ذلك الحب الروحاني النبيل والخالد الذي منحنا أروع ما دبجته أقلام المحبين من الرسائل.

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

[2]– ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل البشروئي، الشعلة الزرقاء، ص161.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص173.

المبحث الثاني : الأدوار التي قامت بها الرسائل بين جبران و مي

أ -الدور الإخباري:

كانت مي زيادة في رسائلها إلى جبران تنقل إليه أخبار الأدب و الثقافة في مصر و لبنان ،و تحدثه عن الكتب الجديدة التي صدرت ، وهو كان يفعل الشيء ذاته ففي إحدى الرسائل يقول لها :"إن استحسانك "المواكب" قد جعلها عزيزة لديّ .أما قولك بأنك ستظهرين أبياتها فمنة أخي أمامها رأسي، غير أنني أشعر بأن حافظتك خليقة بقصائدك أسمى وأبلغ وأنبل من كل ما جاء في المواكب، بل ومن كل ما كتبته وأكتبه ...[1]

وفي رسالة لاحقة يقول لها: أظن أن مقالتك في المواكب هي الأولى من نوعها باللغة العربية، هي أول بحث في ما يرمي إليه الكاتب بوضع كتاب، حبذا لو كان بإمكان أدباء مصر وسوريا أن يتعلموا منك استجواب أرواح الكتب دون أجسادها...[2]

كما كان جبران يحدثها عن حياتها الخاصة ورحلاتها كيف أنت وكيف حالك؟ هل أنت بصحة وعافية كما يقول سكان لبنان ؟ هل خلعت ذراعا ثانية في الصيف الماضي أم منعتك والدتك من ركوب الخيل، فعدت إلى مصر صحيحة الذراعين ؟ أما أنا فصحتي أشبه شيء بحدين السكران، وقد صرفت الصيف والخريف منتقلا بين أعالي الجبال وشواطئ البحر، ثم عدت إلى نيويورك أصفر الوجه نحيل الجسم لمتابعة الأعمال ومصارعة الأحلام ..[3]

ب – الدور الفكري :

لعبت الرسائل بينهما أيضا دورا فكريا فكانت مناسبة لنقاش الأفكار، وذكرنا آنفا أن مي زيادة في رسالتها الأولى كان من أسباب كتابتها له أنها تريد أن تناقشه في بعض الأفكار التي وردت في كتابه الأجنحة المتكسرة، فهي تقول له : أشاركك أيضا المبدأ الأساسي القائل بحرية المرأة، فكالرجال يجب أن تكون مطلقة الحرية بانتخاب زوجها من بين الشبان، تابعة في ذلك ميولها واهتماماتها لا مكيفة حياتها في القالب الذي اختاره لها

[1]-ينظر: المصدر نفسه ، ص7.
[2]-ينظر:المصدر نفسه،ص11
[3]-ينظر:المصدر نفسه،ص85

جبران والمعارف، حتى إذا ما انتخبت شريك حياتها، تقيدت بواجبات تلك الشراكة تقييدا ...[1]

ففي هذه الرسالة يتبين موقف جبران الداعي بتحرر المرأة حتى من تبعات الزواج، فلا يكون ذلك قيدا على عواطفها، أما مي فهي صارمة في أن على المرأة أن تظل وفية لزوجها، وأن لا تسمح لنفسها بأية علاقة خارج الزواج، ومثال ذلك في رسالة أخرى يعلق فيها جبران على بعض الأفكار التي وردت في مقالات لمي في مجلة المقتطف التي تتعلق بالفلسفة والعلوم الإنسانية . فقد استلمت اليوم أعداد المقتطف التي تفضلت بإرسالها إلي فقرأت مقالاتك الوحدة اثر الأخرى وأنا بين السرور العميق و الاعجاب الشديد ولقد وجدت في مقالاتك سربا من تلك الميول والمنازع التي طالما حامت حول فكرتي وتتبعت أحلامي ...[2]

كما يتمنى جبران عليها في رسالته بدل أن تضيع وقتها في الفكر وعلوم الاجتماع أن تكتب الشعر، لأنه أنسب لروحها الوادعة ومشاعرها الجياشة، وربما نفهم من ذلك نظرة خاصة إلى المرأة لدى جبران، فهو لا يراها إلا في صورة الجمال والإبداع .

ج-الدور العاطفي :

كانت علاقة الحب التي بناها جبران ومي عبر تلك الرسائل من أجمل العلائق وأغربها وأعقدها، لأنها نشأت على بساط الفقر والأدب ، ومن دون أن يرى أيا منهما الأخر بحيث كانت مي في حياة جبران الصديقة والحبيبة الملهمة، وشقيقة الروح، وصلة الوصل بينه وبين وطنه، وشرقه، وذاته في أعمق أغوارها أحب فيها المرأة الحلوة الذكية على طريقته هو وكان أكثر ما أحبه فيها عقلها النير الذي تجلى في مقالاتها وكتبها، فأعرب عن تقديره إنتاجها الأدبي الفني الذي كانت تتناوله بالتقريظ والنقد في مقالاتها في مصر[3]

يتضح من مراسلات جبران خليل جبران مع مي زيادة أنها علاقة حب متميزة نمت وترعرعت عبر رسائلهما المتضمنة لأفكارهما وآرائهما في ميادين الأدب والفكر والفن

---

[1]-ينظر:عمر بو شموخة، الإبداع في الفن الأدبي،منشورات أبيك، مطبعة متيجة ،2007،ص55

[2]- ينظر:سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء،ص31

[3]-ينظر: عمر بو شموخة، الإبداع في الفن الأدبي، ص55

والمجتمع. استطاعت هذه الرسائل أن تؤلف بين قلبين مغتربين، وتوحد بين روحيين محلقين في فضاء الاغتراب، روح تحلق في غربة نيويورك وروح تحلق في سماء القاهرة، كأنهما يبحثان عن وحدة تجمع شتات غربتهما وكان حبهما حبا صوفيا بالمعنى الكامل للكلمة يتضح ذلك من إحدى رسائل جبران إلى مي [1] "الأفضل أن نبقى هنا في هده السكينة العذبة ...هنا نستطيع أن نتشوق في قلب الله ...ليست المرأة معشوقة ...بل هي نور الحق ..."[2]

[1]-ينظر: المرجع السابق،ص57

[2]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء،ص12

المبحث الثالث: الأساليب الفنية الأدبية

أ- اللغة:

إن للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل امة فإنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم.

وبما إن الصوت هو الوحدة الصغرى في اللغة إرتيأتنا إلى دراسة بعض الأصوات ودلالاتها في الرسائل الجبرانية فنجد: تواتر الباء في بعض رسائل جبران لمي توحي بالانفعال والاندفاع

ومدى شوقه لرؤية مي وحاجته لرسائلها، مثل قوله: « لقد أعادت رسالتك إلى نفسي ذكرى ألف ربيع وألف خريف وأوقفني ثانية أمام تلك التي كنا نبتدعها وتسييرها موكبا إثر موكب، تلك الأشباح التي مثار البركان في أوروبا حتى انزوت محتجة بالسكوت وما أعمق ذلك السكوت وما أطوله». [1]

وتكرار حرف السين والتاء وتواتره بشكل ملفت في بعض الرسائل بوحي بالحالة النفسية التي كان يعيشها جبران وحالة الكبت الموجودة داخله ومثال ذلك قوله: «لقد استأنست بذلك العنصر الشفاف الذي تتلاشى أمامه المسافة و الحدود والحواجز، والنفس المستوحشة لا تستأنس إلا بذلك العنصر ولا تستخرج سواء ولا تستنجد غيره. »[2]

هذا بالنسبة للصوت.

أما من ناحية الشكل العام للغته في رسائله لمي فتتميز باستعمال أدق الألفاظ في مواقعها أحيانا، مثل قوله « سامحيني أيتها الصديقة العزيزة فقد أزعجتك بالكلام عن نفسي وبشكاواي من أمور »، وأحيانا أخرى نلاحظ أنه يحاول أن يحمل اللفظة [3] فوق ما تعودت حمله من المعاني فيخرجها من حقلها الدلالي مثل قوله: « عزيزتي الآنسة مي، منذ كتبت إليك حتى ألان وأنت في خاطري، ولقد صرفت الساعات الطوال مفكرا بك مخاطبا إياك مستوجبا خفاياك مستقصيا أسرارك، والعجيب أنني شعرت مرات عديدة

[1]- ينظر:المصدر السابق،ص35

[2]- المصدر نفسه، ص52.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص44.

بوجود ذاتك الأثيرية في هذا المكتب ترقب حركاتي وتلمني وتحاورني وتبدي رأيها في مأتي وأعمالي»[1]

فكانت لغته تتراوح بين البساطة حينا وبين الغموض والصعوبة حينا أخر.

كما أنه كان مبدعا في استعمال الصيغ البيانية من تشبيه مثل قوله « حيث الوحشة تسير كالقطعان، وترفرف كأسراب الطيور، تتراكض كالسواقي، تتعالى كأشجار السنديان»

واستعارة مثل قوله « كالنهر الرحيق الذي يتدفق من الأعالي، ويسير مترنما في وادي أحلامي، بل كقيتار او رفوس التي تقرب البعيد...» [2].

فكان بذلك مثالا للمجاز لكثرة استعماله.

وكان للرمز نصيب أوفر في رسالاته لمي الذي أضفي عليها غموضا ومثال ذلك قوله: « الضباب، الأبواب الذهرية، أحب النار، أحب الثلج، الشعلة البيضاء» [3]

أما الأساليب الإخبارية فقد استعملها في نقل أخباره وأحواله لمي مثل قوله « عزيزتي الآنسة مي رجعت اليوم من سفره مستطيلة إلى البرية فوجدت رسائلك الثلاث والمقال الجميل الذي تفضلت بنشره في جريدة المحروسة ولقد علمت من خادمي أن هذه الرسائل بل هذه الثروة الجليلة قد وصلت معا منذ أربعة أيام» [4]

وقوله كذلك « وماذا أقول عن جوي المعنوي، لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء والسلامة أما اليوم فقد تبدل الهدوء بالتصحيح والسلام بالنزاع » [5]

أما بالنسبة للظواهر البلاغية فكان بارزا في أسلوبه التضاد والتقابل والتنافر ليقضي به حركية على الرسائل، تم توليد صورة مفعمة بالحيوية والجمال، ونتيجة للصراع النفسي الداخلي وتجربة الكاتب النفسية وكأنه يترجم حالة هذا العصر المليء بالمتناقضات والانسجام وطغيان الفوضى وعدم التوازن مثل قوله « لا لا أريد أن يفهمني بشري إذا كان فهمه إياي ضر بأمن العبودية المعنوية، وما أكثر الدين يتوهمون أنهم وجدوا في بعض

[1]-ينظر : المصدر السابق، ص 49.
[2]- المصدر السابق، ص 82.
[3]- المصدر السابق، ص 87.
[4]- المصدر السابق، ص 41.
[5]- المصدر السابق، ص 44.

مظاهر ناشئا شبيها بما اختبروه مرة في حياتهم، وليتهم يكتفون بإدعائهم إدراك أسرارنا تلك الأسرار التي نحن دواتنا لا نذكرها...» [1]

والملاحظ في بعض رسائله استعمال بعض مفردات اللغة الإنجليزية عند حديثه عن أعماله مثل قوله « وأنت تسألين ما إذا كنت أريد أن يفهمني أحد بعد قولي: for these whounderstandus enslave

وذلك راجع لكون بعض مؤلفاته بالغة بالإنكليزية [2] some thing in us

وفي الأخير إلا أن نقول أن كل هذه العناصر ساهمت في جعل لغت جبران راقية.

ويظهر جليا في رسائل جبران لمي كثرة التكرار سواء في بعض العبارات مثل قوله « نعم كان بقصدي أن أسألك ألف سؤال وسؤال وها قد صاح لديك ولم أسألك شيئا، كان بقصدي أن أسألك »[3] وقوله كذلك « اختبرته بنفس وعقلي وحواسي وأخبرته وكان بقصد كتمه»[4]، أو بعض الأسماء مثل: «مي، مريم، ماري... »، أو بعض الأفعال مثل قوله: « ابتسم طويلا، وأبتسم وكأنني لم أخلق إلا للابتسام»

فالتكرار يشكل حضوره في الخطاب الأدبي فعالية كبيرة يلفت انتباه المتلقي إلى الصورة المكررة وما تمنحه من عطاءات إيحائية فبمجرد تكرار صورة معينة يجعلها تتعدى إيحاءها الأول إلى إيحاء أخر.

أما بالنسبة للأساليب فنلاحظ غلبة أسلوبي النداء والاستفهام أو هي أساليب إنشائية يراد بها إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة القارئ، فالنداء وسيلة للفت إنتباه المنادى وبروزه في رسائل جبران يعكس مدى قوة علاقة جبران بمي، واستعمل كثيرا أداة النداء "يا" وهي لنداء البعيد ليبين بعد المسافة بينهما حيث يقول: «ما أجمل رسائلك يا مي وما أشهاها، فهي كنهر من الرحيق يتدفق من الأعالي ويسير مترنما في وادي أحلامي... » [5]

---

[1]- المصدر السابق، ص 38.

[2]– المصدر السابق، ص 41.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص 71.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص 63.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ص 42

أما الاستفهام فوظفه كتعبير عن أفكاه ومشاعره فكان آلية يترجم بها جبران حيرته التي يخنقها الجهل والظلام مثل قوله: «ولكن كيف أسمح لنفسي النظر إلى شبه سحابة في سماء صافية مرصعة بالنجوم؟» [1]

كما استعمل الأساليب الإنشائية الأخرى لكن ليس بشكل ملفت كالنداء والاستفهام.

ولقد امتازت لغة الرسائل عند جبران بعد التزامها بنمط لغوي معين، فكانت البساطة عنوانها وهو المبدأ الذي آمن به أصحاب الرابطة القلمية وطبقوه في كتاباتهم ببعدهم عن المحسنات البديعة التي لزمت الرسائل القديمة، حيث جاءت رسائله تزينها بعض التشبيهات والاستعارات التي كانت تمر بين سطورها لتضفي عليها لمسة فنية، كما ظهرت فيها ذاتيته أكثر من ظهورها في أي نوع أدبي آخر، وقد اتبع جبران في رسائله شكلا واحد عادة ما يبدأ بمقدمة تتروح في قصرها وطولها، ومن ثم عرض الموضوع بشكل يتناسب مع مضمونه، ثم خاتمة عادة ما تكون تحيات ودعوات متعارف عليها.

ومثال ذلك رسالة أرسلها جبران إلى مي، وفيها يكشف جبران لمي عن آلام نفسه التي انعكست على جسده، ويبدؤها بقوله : « عزيزتي مي: صحتي الآن أردء مما كانت عليه في بدء الصيف فالشهور الطويلة التي صرفتها بين البر و الغاب وقد سعت المجال بين روحي وجسدي »[2]

ثم يتابع حديثه بلغة أدبية تصويرية بليغة واضحة,قائلا:

"أنا يا مي بركان صغير سدّت فوهته, لو تمكنت اليوم من كتابة شيء كبير أو جميل لشفيت تماما، لو كان بإمكاني أن أصرخ عاليا لعادت عافيتي، وقد تقولين: لماذا لا تكتب فتشفى؟ لماذا لا تصرخ فتتعافى؟ وأنا أجيبك :لا أدري...لا أدري،لا أستطيع الصراخ" [3]، وهذه "الأنا"في بداية الفقرة في إحدى المميزات الظاهرة في رسائل جبران، فذاتيته التي ظهرت في أعماله الأدبية الأخرى، تبدو في فن الرسائل أكثر، وذلك لطبيعة فن الرسائل أكثر، وذلك لطبيعة فن الرسالة التي يشعر فيها الكاتب بأنه ملتصق بذاته وأصدق ما يكون في الكشف عن خباياها، وهذه الذاتية جعلت الرسائل عنده أثرها كبير

[1]– المصدر السابق، ص 41.

[2]– ينظر:المصدر نفسه ،ص 129

[3]–ينظر: المصدر نفسه ، ص169

في الكشف عن نفسيته، لأن فن الرسائل لا يخضع لقواعد و قوانين كفنون النثر الأخرى، فيمكن لكاتبها أن يتصرف بها كما يشاء فيطوّلها أو يقصرّها مثلا، أو يبدع فيها أصواتا و أصولا جديدة ما دامت تحقق له تعبيرا عن ذاته [1]. ولهذا ظهرت ذاتية جبران في رسائله أكثر من ظهورها في أي نوع أدبي آخر.

وقد خلت رسالة جبران من أية محسنات بديعية كالسجع، والجناس، و الطباق وغيرها وجاءت عفوية تزينها بعض التشبيهات كقوله: « أنا يا مي بركان سدّت فوهته" [2]، وكما في قوله أيضا:" أما الأطباء و الأدوية فمن علتي بمقام الزيت من السراج، لا لست بحاجة إلى الأطباء و الأدوية، ولست بحاجة إلى الراحة و السكون أنا بحاجة موجعة إلى من يأخذ مني ويخفف عني، أنا بحاجة مضادة معنوية، إلى يد تتناول مما ازدحم في نفسي، إلى ريح شديدة تسقط ثماري و أوراقي

فهو يشبه نفسه المتألمة الخاضعة للأدوية والأطباء بالسراج الذي ينطفئ عند انتهاء الزيت منه كما يشبه نفسه المحتاجة لمن يخفف عنها بالشجرة التي تحتاج إلى ريح شديدة تقتلع أوراقها وأثمارها.

ب-**الخيال:**

إن علاقة مي بجبران من الواضح ومما يدعونا للعجب ونحن نتأمل شكوك البعض في فهمها وتفسيرها بشذوذ تارة وشذوذ جبران تارة أخرى، فجبران ودع صباه وطهارته يوم التقى امرأة في بوسطن في أمريكا ليتعلم منها فنون الحب، حتى أصبح فيما بعد مكثرا في عقد الصلات مع النساء على أنواعهن ولعل مرد ذلك إلى أن جبران كان ممزقا بين فكره وتربيته، بين فلسفته وحياته، بين نظرته وتطبيقاته ويبدو هذا التمزق هو المسؤول عن حياته التعيسة، والرغبة في الزواج منها .

لكن مي كانت تخاف الحب، لأنها كانت مدركة تماما تمكن روح نيتشه من أفكاره، ومي لم تكن تزدري بنفسها ولا بالآخرين، بل كانت متصوفة في أفكارها أحيانا، لا كجنون جبران في عشقه للخلود المغلف بفكرة البقاء عن تناسخ الروح

[1]-ينظر: عبد الكريم الأشتر، النثر المهجري، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1941، جزء 2،ص269.

[2]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص 169

ومثلما كان جبران واقعيا في علاقته مع مي فقد كان خياليا أيضا وهذا الخيال يظهر جليا في حياته اليومية التي كان يحدثها عنها في رسائله فنجده يقول لها :غير أنني كنت أنظر نحو رفيقتي بين الدقيقة والدقيقة وأقول لها :لقد عدنا لنرى قطيعنا في الوادي الهادئ .وفي حديث آخر أحمد الله وأشكره لأن مريم الحلوة تسمعني صمتا مثلما أسمعها صامتة، وتفهمني مشغوفا مثلما أفهمها عطوفة .

كما يتخيلها جبران في صورة أقرب إلى حلم اليقظة في رسائله في رسالة إليها "يا مي يا صديقتي حبذا لو كنت الساعة في مصر، حبذا لو كنت في بلدي قريبا ممن تحبهم نفسي أتعلمين يا مي أنني اليوم أتخيل ذاتي في منزل في ضواحي مدينة شرقية وأرى صديقتي جالسة قبالتي تقرا في آخر مقالة من مقالاتها التي لم تنشر بعد .. "[1]

لقد عاشت مي في خيال جبرا ن اليومي وقد سماه بالخيال الضبابي إذ كان هو في مغارب الأرض مقيما وكانت هي في مشارقها بينهما سبعة آلاف ميل، وخيال جيران الضبابي لم يكن ليفهمه أحد غير مي وهذا طبيعي لأنه موجه لها ولا أحد سواها، حيث كانت مي تفهم ما يريد منها جبران بل كانت تفهم ماديتها وفهمها الخاطئ للحياة إلى جانب هذا فإن مي كانت أكنف في فهمها للمرآة من جبران في حين أن جبران كان يؤمن بالمرآة جسدا لا غير[2].

لكن الغريب في الأمر أن جبران يحب مي ومتمسك بها وهي تبادله الشعور نفسه فقد طلبت منه أن لا يسمح لنفسه الزواج منها وأنها توريده صديق والصداقة عندها أثمن من الزواج ومن هنا نستطيع القول أن علاقة جبران بمي قدر ما كانت حقيقية واقعية فهي كانت حقيقية خيالية.

ج- الوقائع: ليس من السهل تفسير العواطف، لان هذه الأخيرة هي بمثابة جغرافيا، فتفسير جغرافية العواطف هذه تستوجب التحديد العقلاني لما هو لا عقلاني في نفس الفرد

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص56

[2]- ينظر: عبد الأمير الأعسم، سيكولوجية العلاقة بين مي زيادة والرجال و"جبران" بوجه خاص، ص 104.

وحياته، الإحساسات والعواطف تداخلنا وقد تمر في نفوسنا بفعل خارجي عنها ويجب أن نقع في مواجهتها لمعرفة من نحن أو هل نحن على حقيقة أو خيال[1].

وبهذا نجد أن الحب الذي جمع بين جبران ومي لم يكن وليدة نظرة فالابتسامة، فسلام، فكلام، بل كان حبا رائعا نشأ ونمى عبر مراسلة أدبية طريفة، وكان كل منهما يبحث عن روح شقيقه في يقظته وأحلامه فقد كان جبران يرى في مي الصديقة والحبيبة و الملهمة، وشقيقة الروح، أحب فيها المرآة الحلوة الذكية على طريقته هو وكان أكثر ما أحبه فيها عقلها اللين الذي تجلى في مقالاتها وكتاباتها كما أحب حبها له وإعجابها بشخصيته وإنتاجه الأدبي والفني[2].

ويعد حب مي لجبران أو جبران لمي حقيقة واقعة كيف لا وقد عبر عنها بكلمات قليلة أفضل بما لا يقاس بكل ما قيل في الماضي، حيث قال: «أنت تحيين في وأنا أحيا فيك»[3].

وفي رسالة أخرى تتوطد العلاقة لتصبح واقعا لا يترك مجالا للشك حيث يتخاطب كل من الحبيبين بعبارة يمكن اعتبارها غامضة بعض الشيء لكن الغموض في مدلولها الحقيقي المختبئ من معاني وجدانية مؤثرة تفيض باللوعة والشوق وهي على هذا النحو:"كثيرا وبنحو- كثيرا وبنحو"

فهذه العبارة تصريح وتنويح لما يجول بداخلي مي من عواطف متأججة نحو "جبران" الذي فهم هذه المعاني وكأنها قالت له: "أحبك قليلا،كثيرا، بنحو، بشغف، بجنون، لا أحبك" حتى اتخذها جبران لنفسه كلمة عبور لقلب مي[4].

د- الرومانسية :

جبران من أوائل الأدباء العرب الذين تأثروا بالاتجاه الرومانسي، لأن ذلك الاتجاه كان فطرة فيه، ولعل مولده ونشأته بين أحضان جبال لبنان وغاباته بطبيعتها الساحرة

---

[1]- ينظر: عبد القادر سلامي، ود. أمينة بلهاشمي، مظاهر الواقع والخيال لتجربة مي الإبداعية، قراءة في رسائل الشعلة الزرقاء، المؤتمر الدولي السابع للغة العربية، العدد 120، ص 3.

[2]- ينظر: سلمى الحفار الكزبري وسهيل بشروئي ، الشعلة الزرقاء، ص 8.

[3]- المصدر: نفسه ص 129.

[4]- ينظر: المصدر نفسه ص 115.

الخلابة هما اللذان طبعاه بهذا الطابع فكتاباته كلها تقريبا تلهج بذكر الطبيعة وتجسدها وتستخرج الصور والنماذج منها[1] .

وكانت الطبيعة ملجأ جبران ومنطلقه، وميدان تحرك شخصياته وابدعاته المختلفة، حتى كأنه كان يقيم في غاب منعزل عن الناس يبدع فيه أعماله فنجدها مختلفة في شكلها متميزة في تكوينها آسرة في سحرها[2] .

يقول في رسالة له إلى مي زيادة :لا لا أعرف شيئا أهنأ من عيش الأودية، وأحب الأودية يا ماري في الشتاء، ونحن أمام موقد ورائحة السرو المحروق تملأ البيت، والسماء تنثر الثلوج خارجا، والريح تتلاعب بها قناديل الجليد مذلاة وراء زجاج النوافذ، وصوت النهر البعيد وصوت العاصفة البيضاء يتآلفان في مسامعنا[3]

ويقول لها رسالة أخرى :"...فتحت نافدتي فوجدت المدينة متشحة برداء ابيض والثلج يتساقط بهدوء وعزم وغزارة، فتهيأت لهدا المشهد الجليل بطهره ونقاوته، وعدت بالفكر إلى شمال لبنان إلى أيام حداثتي، عندما كنت أصنع التماثيل بالثلج ثم تطلع الشمس فتذيبها."[4]

هكذا كان جبران يضفي الحياة على مظاهر الطبيعة باثا من خلالها أحلامه وآلامه، و متخذا منها ملاذا من قسوة الحياة، وظلالها، وأمًّا حانية يجد بين أحضانها راحة نفسية و طمأنينة قلبه،لقد كان يعتقد أن كل شيء في الطبيعة يرمز و يتكلم على الأمومة،فالشمس هي أم هذه الأرض ترضعها حرارتها و تحتضنها بنورها و لا تغادرها عند المساء إلاّ بعد أن تنومها على نغمة أمواج البحر وترنيمة العصافير و السواقي

ج- العاطفة:

مما يعرف عن جبران أنه جدّد خصوصا في الأدب الذاتي الذي كان و ما يزال في بداية عهده في تراثنا و هذا يعني أن من الأدباء الذين يعبرون بأدبهم عمّا في دواتهم أو

---

[1]-ينظر :خليل حاوي،جبران خليل جبران،إطاره الحضاري وشخصيته وآثاره، ط1،دار العلم للملايين، بيروت،1982 ، ص179.

[2]-ينظر : غسان خالد ،جبران فيلسوف، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت ، 1983، ص261.

[3]-ينظر:جميل جبر، جبران خليل جبران، في حياته العاطفية، ط1،مؤسسة نوفل،بيروت، 1981، ص167.

[4]ينظر : سلمى الحفار الكزبري و سهيل بشروئي، الشعلة الزرقاء، ص83.

عن ذواتهم بعبارة أكثر اختصارًا ،وهذا لا ينافي كونه يعبرون عن اهتمامات الناس وانشغالاتهم و مختلف أحوالهم[1].

ولقد كان جبران يحمل في قلبه هموم أمته كلها و كانت تلك الهموم من الكثرة بحيث دفعته إلى الكتابة في قضايا كثيرة ومتنوعة وربما لم يتسن لكاتب غيره أن يحيط بمثلها فكتب عن قضايا الظلم و العدالة و الاستعباد و المحبة والقوة و المرأة و غيرها من الأمور.[2]

تجلت عاطفته في رسائله إلى مي فهو يقول لها في إحدى رسائله:"أستعطفك يا صديقتي ،أن تكتبي إليّ بالروح المطلقة المجرّدة المجنحة التي تعلو فوق سبل البشر،أنت وأنا نعلم الشيء الكثير عن البشر،عن تلك الميول التي تقربهم إلى بعضهم البعض،وتلك العوالم التي تبعد بعضهم عن البعض،فهلّا تنحينا ولو ساعة واحدة عن تلك السبل المطروقة ووقفنا محدقين ولو مرّة واحدة بما وراء الليل[3]."

كما امتزج حبها لديه بحنان المرأة الأم فيقول لها في إحدى رسائله:"وأنت تسألين عن صحتي تتحول بُنَيَّتي إلى أم كلها حنان ،صحتي جيدة جدًا ،فقد ذهبت تلك العلة ،وتركتني قويّا و متحمسا رغم البياض الذي تركته شعر صدعني والغريب أني داويت نفسي بنفسي فكنت عمليا إجرائيا بعد أن تقرّر لديّ أن الأطباء خياليون هائمون في أدوية الظنون و التخمين[4]."

ولقوة العاطفة وضخامة الأحاسيس و المشاعر وسعة الخيال لم يرضخ جبران للكثير من ضوابط اللغة وحدود الأنواع الأدبية ،فكان شاعرًا في نثره أكثر منه في نظمه لأن انطلاقاته المجنحة وأحاسيسه الجامحة تحد منها ضوابط القوافي والعروض ،ولأنه ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب[5].

---

[1]-ينظر: عبد الكريم الأشتر، النثر المهجري، المضمون و صورة التعبير، ط4،دار الفكر، بيروت،1983, ص 92.
[2]-ينظر: جبران خليل جبران، العواصف، د،ط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1991، ص 29.
[3] - ينظر: المصدر السابق، ص50
[4]- ينظر:المصدر نفسه، ص258.
[5]-ينظر :جبران خليل جبران،العواصف، ص86.

خاتمـــــــــة

خاتمة:

لقد أفضى بحثنا هذا الموسوم رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، كتاب الشعلة الزرقاء، دراسة في المحتوى إلى جملة من النتائج يمكن رصد أهمها كما يأتي :

-الرسالة من الفنون النثرية، وهي الكلام المكتوب أو الملقى مشافهة يوجه إلى شخص أو جماعة من الناس يحمل في ثناياه فكرة أو رأي أو شعور أو أمر من أمور الناس السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية .

-الرسالة فن نثري أخد و أوجد ازدهاره في عهد الأمويين والعباسيين عندما بلغت الحضارة الإسلامية قمة العطاء ومن أشهر من أبدع في هذا الفن نجد: جبران خليل جبران، مي زيادة، مصطفى صادق الرافعي، عباس محمود العقاد، غسان كنفاني .

-تبين رسائل جبران خليل جبران ومي زيادة القيمة الفنية للترسل في ميزان الأدب العربي بشكل عام والنثر الأدبي بشكل خاص، حيث أكسب الترسل ميزات فنية، وأعادت للترسل مكانته ودوره في النثر العربي.

- إن أهمية رسائل جبران خليل جبران إلى مي لا تتوقف عند كونها تعبيرا من أديب عبقري عن حبه الفريد لأديبة زمنها مي زيادة، بل إن الرسائل تتعدى ذلك إلى كونها تفصح عن آراء وأفكار جبران في الحب والفن والحياة ...

-تبين من خلال البحث أنه كلما أمعنا النظر في مضمون الرسائل النابضة بالحياة، الناضجة بالصدق، كلما ازدادنا يقينا بأن الحب الذي شد جبران إلى مي، وشغف جبران حبا بجبران، حب عظيم، يكاد يكون صوفيا لأنه تخطى حدود الزمان والمكان والحواس إلى عالم تتحد فيه قوة الوجود .

وفي الأخير يمكن القول :إن رسائل جبران خليل جبران ما تزال في حاجة إلى الكثير من الدراسات تسبر أغوارها، وتكشف أسرارها، وتستخرج دررها، وجواهرها، وما هذه الدراسة إلا كشف يسير في عالم مترامي الأطراف .

الملاحـــــــــق

ملحق رقم 01 :

جبران خليل جبران – مسيرة حياة –

ولد جبران في بلدة بشرى المتكئة على كتف وادي قديشة، في ظلال الأرز حيث تتفجر الأرض ماءًا و خضرة وزهرًا و الثلوج تعمم الجبال معظم فصول السنة، وكانت ولادته صباح السادس من كانون الثاني سنة 1883م، في كنف عائلة قليلة الموارد مؤلفة من الأب خليل، و الأم رحمة التي كان لها من زواج سابق ولد اسمه بطرس، ورزقت من زواجها من خليل ثلاثة أولاد: جبران أكبرهم وأختاه: مريانا و سلطانة [1]

ما إن بلغ الخامسة من عمره حتى أدخل في مدرسة "دير مار أليشاع " القريب من بشرى فتلقى مبادئ القراءة و الكتابة، وكان مواطنه الطبيب "سليم الظاهر"، يساعده في تعلمه وتنمية موهبة الرسم التي ظهرت فيه.إلى ذلك كان جبران الصغير يتمتع في انصرافه إلى الطبيعة الخلابة التي تتميز بها المنطقة، وظلَّ جمالها منطبعًا في نفسه وحبها لا يفارقه ففي إحدى رسائله إلى ابن عمه نخلة يقول:"هل يأتي ربيع حياتنا ثانية فنفرح مع الأشجار ونبتسم مع الزهور ونركض وراء السواقي ونترنم مع العصافير مثلما كنا نفعل في بشرى ...هل نرجع ونلبس ونجلس على نهر النبات، وأجمل ما في هذه الحياة يا نخلة هو أن أرواحنا تبقى مرفوقة في أماكن تمتعنا فيها بشيء من اللذة ..."[2]

لم ينعم "جبران" طويلا في حداثته، إذ ضاقت أسباب الحياة أمام عائلته لأن الأب أتهم بالاختلاس ما كان يجيبه من الرسوم، وسجن و حجزت أملاكه فما كان عن الأم إلاَّ أن غادرت الوطن، ومعها أولادها الأربعة، قاصدة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نزلت في حي الصينيين في بوسطن، وكان ذلك سنة 1895م، وفي بوسطن عملت "كاملة"، و"بطرس"في التجارة و البنتان ماريانا و سلطانة في خدمة الجيران، أما جبران فأدخل مدرسة مجانية وكان يقضي معظم أوقاته في الرسم و المطالعة في الروايات الإنجليزية التي كانت معلمة الإنجليزية تختارها له، وذات يوم قال لأمه:"أو ما أخبرتك بما

---

[1]– ينظر: إبراهيم صقر،مختارات من رسائل جبران،ص11.

[2]- ينظر: أنطوان القوال ، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجيل، ط1، بيروت، 1994، ص 12.

فعلته معلمة التصوير؟جاءت اليوم برجل، قالت إنه مصوّر–يصوّر بيده لا بالآلة–وأرته بعض رسومي، فقالت لي:(أنت فرخ مصوّر) و دعاني إلى زيارته في الغد..."[1]

في سنة 1898م،أرسل جبران إلى لبنان ليدرس اللغتين العربية و الفرنسية، فالتحق بمعهد "الحكمة" في بيروت، حتى تلقى دروسه على يد مشاهير الأساتذة يوم ذاك أمثال "الخوري يوسف الحداد"، وأمضى في " الحكمة" مدة ثلاث سنوات،تبلورت من خلالها مواهبه في الرسم و الكتابة[2].

وكان يتردّد في فصل الصيف على مسقط رأسه بشرى، فيزور أقاربه و رفاقه في بشرى يوم ذاك، تعرّف إلى فتاة من أهل الغنى أحبّها، ولكن تقاليد المجتمع حالت دون زواجهما فذاق الحبيبان من قسوة الحرمان وظلم الأهل."[3]

في سنة 1901م، عاد جبران إلى بوسطن،مثقلا بالمعرفة وألم الخيبة بالحب، وكان هذا الألم فاتحة لسلسلة آلام عاناها جبران، وتمثلت بفقده شقيقته سلطانة، ثم أخيه بطرس، فأمه، ولكن هذه المآسي المتلاحقة لم تهدّمن عزمه، مع أنه لم يبق له من معين إلا أخته ماريانا، فتابع كتاباته ومحاولاته في الرسم.[4]

وفي سنة 1904م، أقام جبران أول معرض له في الرسم، وتشاء الأقدار أن يتعرّف إلى سيّدة أمريكية ثرية راقية هي:"ماري هاسكل"، كانت زارت المعرض و أعجبت برسوم جبران وكان هذا اللقاء نقطة تحوّل في حياته، وبداية ترقّي سلّم الشهرة .

في السنة نفسها بدأ جبران نشر مقالاته في جريدة "المهاجر"، لصاحبها "أمين الغريب"، فتأثر أسلوبه الجيد بإعجاب القرّاء، ما شجعه على إصدار " الموسيقى"، وعرائس المروج (1905)، والأرواح المتمردة (1908).

قدّرت "ماري هاسكل" مواهب جبران، وكان الحب قد جمع بينهما، فأرسلته إلى باريس سنة 1908م، ليدرس أصول الرسم في معاهد عالمية .

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص، 12

[2]– ينظر : المرجع نفسه، ص 13

[3]- ينظر: إبراهيم صقر، مختارات من رسائل جبران ، ص10.

[4]- ينظر: محمد نجم ،الحق الندوي، جبران في ضوء مؤلفاته العربية، ،ص2

وفي باريس في حي اللاتيني تعرّف إلى الأدباء و الفنانين، ولا سيَّما النحات الكبير "أوغست رودان"، و إجتهد طوال سنوات تخصصه الثلاث، وزار مدن فرنسا، ومتاحف إيطاليا وبلجيكا و إنجلترا و روائعها الفنية الخالدة.

عاد جبران إلى بوسطن، ومنها انتقل سنة 1912م إلى نيويورك، حيث استقرّ بعد أن لمع نجمه في عالمي الأدب و الرسم، و هناك في طابق علوي من بناية قديمة تخالها أحد أديرة لبنان التاريخية في جو"صومعة"، فسيحة هادئة، عزل جبران نفسه منصرف إلى الرسم و التأليف باللغتين العربية و الإنجليزية فتوالت إصدارات مؤلفاته: الأجنحة المتكسرة سنة 1912م،دمعة و ابتسامة سنة 1914م،والمجنون سنة 1918م، بالإنجليزية و المواكب سنة 1919م، وهناك لابد أن نشير إلى أن حب المراسلة بدأ سنة 1914م، بين جبران و الأديبة مي زيادة و استمر حتى 1931م.

وبفضل جيده و جهده و عطاءاته في الأدب و الرسم أصبح"جبران"قبلة أنظار أدباء المهجر فالتفوا حوله،وأسس مع بعضهم الرابطة القلمية "سنة 1920م. فكان جبران عميدها وسمي أعضاؤها عمالا و هم "ميخائيل نعيمة"،"إليا أبو ماضي"،"ندرة حداد"،و"أيوب رشيد" ،"وديع باحوط" ، "إلياس عطا اللّه"،" نسيب عريضة ".

وفي سنة 1920م،أصدر جبران "العواصف" و "السابق" بالإنجليزية، و "يسوع ابن إنسان" سنة 1928م، و "آلهة الأرض"سنة 1931.

أخذت منه العلة يومًا بعد يوم، يمكنها من صحته وقوته استمراره في العطاء دون ملل أو كلل، حتى انطفأ سراج حياته في العاشر من نيسان 1931، وفي 21 آب نفسها نقل رفاقه إلى "بشرى" مسقط رأسه ، ليرقد بسلام في "دير مار سركيس"، المكان الذي كان يحلم بالعودة إليه و بعد وفاته صدر "التائه" سنة 1932م، و حديقة النبي سنة 1932م، و كلاهما بالإنجليزية، و بقي الكثير من آثاره ينتظر الكشف و الجمع و الصدور.

لا يزال جبران بعد رحيله يشعل الناس بأدبه و فنه كما كا يشغفهم في حضوره فالآداب العربية لم تعرف حتى الآن أديب كان له الأثر الذي "لجبران"، إذ أنه فاصل تاريخي حاسم كما يقول جميل جبر:"بين التقليد و التجديد انطوى بوجوده عهدًا و بدأ عهد"

إن جبران كما عرّفه حنا الفاخوري حيث يقول:"عبقرية خالدة تخطت حدود الزمان و المكان، كان لها تحت كل كوكب مملكة سلطان، نطقت بالكلمة فردّدها الكون بكل لغة و لسان."

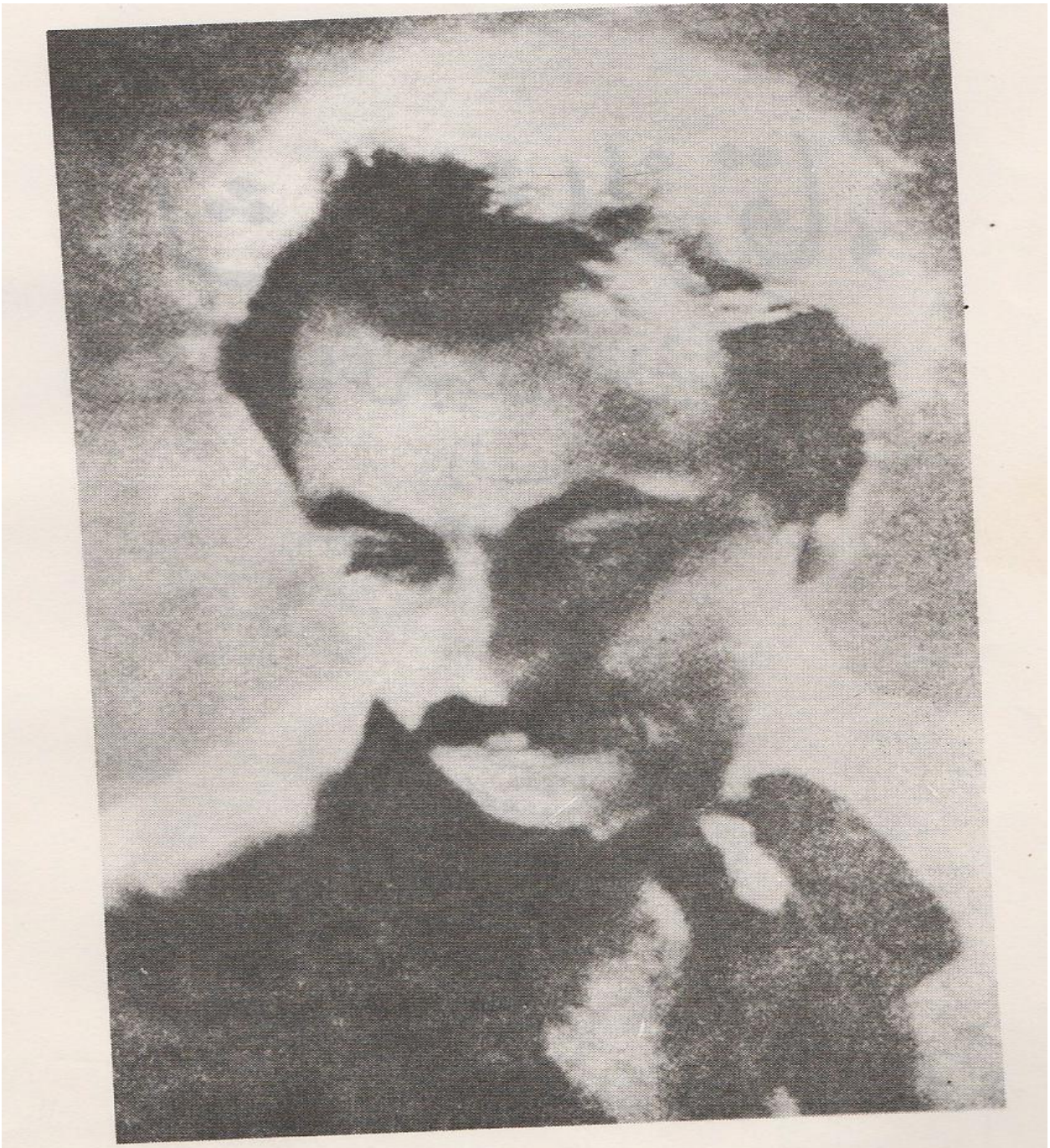

جبران خليل جبران

ملحق رقم 2:

–مي زيادة مسيرة حياة –

يذهب نقاد الأدب إلى أن الأدباء هم صفوة الناس لما يمتازون به من علم وفن ومواهب وعمق في المشاعر الإنسانية ... إنهم القدوة الحسنة للسمو بالروح والفكر، لهذا تعتز الأمم بأعمالهم وتهتم لتراجمهم وسيرهم، و"مي زيادة"علم من أعلام تاريخ الأدب العربي ، ورائدة من رواد النهضة العربية الحديثة [1]

لقد عاشت "مي زيادة" ونشأت في وسط أدبي وثقافي وفكري وسياسي نشيط وعاصرت أعلاما حملوا لواء النهضة الأدبية في العالم العربي وفي المهجر وجاهدوا من أجل إحياء لغتنا العربية.

ولدت الأديبة النابغة "ماري " بنت" إلياس زيادة" المعروفة مي زيادة "بالناصرة" بفلسطين عام 1886م من أب لبناني الجنسية "إلياس زوخور زيادة" وأم فلسطينية ذات أصل سوري (من حوران) تدعى "نزهة معمر" واستقرت العائلة بفلسطين إلى غاية 1900م لترحل إلى لبنان وكانت مي آنذاك في الرابعة عشر من عمرها [2]

وقد تلقت "مي" مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسها بفلسطين إلى رحلت عائلتها إلى لبنان وهناك التحقت بمدرسة "الراهبات اللعازاريات" وظلت هناك ثماني سنوات في عام 1904م سافرت "مي" وأسرتها إلى مصر، حيث عمل والدها بالصحافة ... ومند عام 1908م، وحتى وفاتها عام 1941م لم تزر مي لبنان إلا في مناسبات فقد استقرت بمصر.

غير أن هذه الأديبة الكبيرة أصيبت في سنواتها الأخيرة بمحنة رهيبة بعد وفاة والديها، فكتبت لابن عمها الدكتور جوزيف زيادة في بيروت عام 1935م، راجية منه أن يحضر للقاهرة لإنقاذها، وانتهت عملية الإنقاذ هذه بإيداعها في مستشفى للأمراض العقلية بعد أن تنازلت عن حرية التصرف بأموالها لحساب ابن العم المنقذ[3]

فظلت مي زيادة "بالعصفورية" عشرة أشهر لتخرج بعدها بطلب وإلحاح من أصدقائها مثل "أمين الريحاني" و"خليل الخوري" وعادت "مي" إلى القاهرة عام 1939م

---

[1]-ينظر:سهام الخرفي، مي زيادة أديبة الصالون،دار قرطبة،ط1،الجزائر،2005،ص3.

[2]- جهاد فاضل: مي زيادة الهوية والانتماء ،مجلة العربي، العدد 169، مارس 2000،ص 100.

[3]-ينظر:سهام الخرفي ،مي زيادة أديبة الصالون،ص5.

لتكشف أن مكتبتها سرقت وعادت وبدأت معركتها مع القضاء المصري لدفع الحجز عنها حتى توفيت بعد بسنتين فقط من عودتها لمصر عام 1941م .والمتتبع لرصيد مي زيادة الفكري ونتاجها الأدبي يرى أن كفة المقالة هي الرائجة فيه وأن أربعة من مؤلفاتها التي نشرتها تضم مقالات كتبتها للصحف والمجلات حتى عام 1924م وهي سوانح فتاة و"ظلمات وأشعة "و"الصحائف" وبين المد و الجزر [1]

وقد تعارف معاصرو "مي زيادة "وجلهم من أعلام النهضة العربية الحديثة على تلقيبها "النابغة مي" منذ ظهورها في القاهرة كاتبة مقالة محلية، وشاعرة باللغة الفرنسية وخطيبة ساحرة عندما كلفت إلقاء كلمة "جبران خليل جبران" مساء الاحتفال بشاعر القطرين "خليل مطران" الذي جرى في دار الأوبرا بتاريخ 24 أفريل 1923م، وحضرها كبار الكتاب والشعراء العرب فوقفت على المنبر وألقت كلمة "جبران خليل جبران" التي أرسلها من الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عقبت عليها بخطبة فاستحوذت على إعجاب الحاضرين بوقفتها الرصينة، ولفظها العربي الناصع وإشراق بيانها، وصوتها العذب [2]

و يجذر بنا أن نوضح أن" مي" لم تكن في بداية علاقتها بجبران امرأة منطلقة في التعبير عن ذاتها فقد اكتفت في البداية بالعلاقة الفكرية، بل دعت "جبران" للالتزام بحدودها،فاتسمت لغتها بالحذر، وتحصنت باللهجة الرسمية في الخطاب، فاخفت مشاعرها نألف قناع ، حتى وجد أن جبران هو نفسه يتساءل مستغربا بشدة تردها وحذرها:"أهو الخجل أم الكبرياء أم المصطلحات الاجتماعية ؟" لعله كان يقارنها بالمرأة التي التقى بها في الغرب والتي تتمتع بحرية التعبير عن أعماقها .

واستمرت "مي" تراسل "جبران" إلى أن وافته المنية عام 1931م ، فهرعت "مي" إلى قلمها ترثيه، فهي التي أشقاها موته لاسيما بعد وفاة والديها[3].

وظلت "مي" عذراء لم تتزوج بالرغم من كثرة الخطابين إليها غير أن قلبها لم يخفق ولم يمل إلا لجبران، إلا أن الأقدار شاءت ألا يلتقيا إلا على الورق والحبر .

---

[1]- يتظر: المرجع السابق، ص 6.

[2]-ينظر: ستمى الحفار الكزبري، شعلة الإبداع في كتابات مي زيادة، مجلة العربي، الكويت، العدد 496، مارس ، ص 104.

[3]-ينظر : سهام خرفي ،مي زيادة أديبة الصالون ، ص 18.

ميّ زيادة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أ – القرآن الكريم

ب–الكتب:

_ آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب، النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1، 1424

_ حنا الفاخوري في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، ط2، بيروت، 1991

_ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة ، د،ط، د،ت،

_ فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، في القرن الخامس هجري ،دار

_ فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية، الأردن، عمان، ط1، 2009

_ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ، د.ط، 2002

_أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ج4 ، العدد 258

_النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن تعزي بردى ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1992

_أنطونيس بطرس، الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2005

_توفيق صايغ، أضواء جديدة على جبران ، بيروت، الدار الشرقية،د،ط، 1966

_جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، د،ط، دار الجيل للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت،1993

_جبران خليل جبران، العواصف، د،ط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1991

_خليل البيطار، مي زيادة ياسمينة النهضة والحرية، الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات الطفل، دمشق ، 2012

_سلمى الحفار الكزبري، مي زيادة أو مأساة النبوغ، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1

_عبد الكريم الأشتر،النثر المهجري، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ج 2، 1941

_علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1، 1981

_غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992

_لوسي يعقوب، الملامح الخفية لجبران ومي، المؤسسة العربية الحديثة ،للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر، د،ط، دت

_محمد أبو رية، رسائل الرافعي، منشورات دار إحياء الكتب العربية ، 1950

_محمد لعوين، المقالة في الأدب السعودي الحديث، ط 1، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض، 1992

_محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه، في عصر المماليك والعثمانيين، والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي ، بمصر، د،ط، 1957

_مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت،1999

_مصطفى عناني، إظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، مطبعة الرحمانية ، مصر، ط3، 1927

-أمل داعوق سعد، فن الرسالة عند مي زيادة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1 ، 1986

-أمين أبو ليل ، محمد ربيع، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان،2006

البشر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989

-جميل جبر، رسائل مي، منشورات مكتبة بيروت، 1951

-حسين علي محمد، التحرير الأدبي، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية، مكتبة العبيكان، ط6، الرياض، 2005

-حسين نصار،نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي،

-خالد الحلبون، فن الرسالة النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة دمشق، سوريا، دط، دت.

-سلمى الحفار الكزبري و بشير بشروئي ، الشعلة الزرقاء، دمشق، وزارة الثقافة، 1989.

-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،دار المعارف، القاهرة، ط2 1975.

-عبد الرحمان محمد الخضرمي، ابن خلدون ،المقدمة، دار البيان العربي، ط 1،بيروت، لبنان، تحقيق عبد الواحد واقف

-عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط 2، بيروت،1976

-عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس مطبعة الاستقامة ، د.ط، د.ت .

-عبد اللطيف الآرناؤوط، تأملات في رسائل الأدباء، وزارة الثقافة و الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق،2012.

-عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي تاريخه في العصر الأموي و العباسي، دار الجيل، بيروت

-علي جميل مهنا، الآداب في ظل الخلافة العباسية، د،ط، 1981.

-عمر الدقاق، ملامح النثر العباسي، دار الشرق العربي

-عمر عروة، النثر الفني القديم، أبرز فنونه و أعلامه، دار القصبة للنشر و التوزيع د،ط، 2000.

-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين،بيروت، ط1،ج1969،1

-عيسى فتوح، سلمى الحفار الكزبري الأديبة المتفوقة وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب ، منشورات الطفل، دمشق، 2014.

-فوزي سعد عيسى ،الترسل في القرن الثالث هجري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1991

لبنان ،د،ط ،1990

–محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص، مكتبة لبنان، ط 1، بيروت، 1996

–مصطفى البشير قط،مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن

–ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، مديرية دار الكتاب للطباعة و النشر، الموصل،1989.

المجلات والدوريات:

_عبد الأمير الأعسم، سيكولوجية العلاقة بين مي زيادة والرجال و"جبران" بوجه خاص، مجلة الأقلام، العدد الثالث

_عبد القادر سلامي ود. أمينة بالهاشمي ، مظاهر الواقع والخيال في تجربة مي زيادة الإبداعية قراءة في رسائل الشعلة الزرقاء، المؤتمر الدولي السابع للغة العربية، العدد 120

–عيسى فتوح، على هامش كتاب الشعلة الزرقاء، رسائل جبران إلى مي زيادة،مجلة البصرة، العدد الخامس، مكتبة العلامة ميخائيل عواد، المركز البغدادي الثقافي، 1931

– مي زيادة، الصحائف، نقلا عن مجلة المرآة الجديدة، عدد حزيران 1923م

المعاجم:

– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1،دار الدعاء، اسطنبول، تركيا،1989

_ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، ط 1، بيروت، لبنان ، 1972.

–ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، دار الفكر،بيروت، لبنان ،تحقيق عبد السلام هارون، 1979.

–أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،

الرسائل الجامعية:

_أسماء عبد الرؤوف عطية الله، الرسائل في العصر العباسي، أنواعها وخصائصها الفنية ، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، 2009

–شهرة زاد بوسكاية وفاطمة الزهراء هدي، الإنسان النيتشوي وتجلياته في أدب جبران خليل جبران –العواصف و المجنون – نموذجا– مذكرة لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي، 2001، 2002.

فهرس المحتويـــــات

فهرس المحتويات

العنوان **الصفحة**

مقدمة.....أ-ج
مدخل: نبذة عن كتاب الشعلة الزرقاء..... 6
الفصل الأول:أدب الرسائل..... 12-42
المبحث الأول:الرسالة بين اللغة و الاصطلاح..... 13
أ/لغة..... 13
ب/اصطلاحا..... 14
المبحث الثاني:لمحة تاريخية عن فن الرسالة..... 16
أ/في العصر الجاهلي..... 16
ب/في العصر الإسلامي..... 17
ج/في العصر الأموي..... 19
د/في العصر العباسي..... 20
ه/في العصر الأندلسي..... 22
و/في العصر المملوكي..... 25
ي/في العصر الحديث..... 27
المبحث الثالث:رواد الرسائل الأدبية..... 30
أ/عباس محمود العقاد..... 31
ب/توفيق الحكيم..... 31
ج/مي زيادة..... 32
د/جبران خليل جبران..... 34
ه/غسان كنفاني..... 35
و/مصطفى صادق الرافعي..... 36
المبحث الرابع:أنواع الرسائل..... 38
أ/الرسائل الديوانية..... 38
ب/الرسائل الإخوانية..... 39

ج/الرسائل الأدبية..... 41
تمهيد..... 44
الفصل الثاني:دراسة في المحتوى لكتاب "الشعلة الزرقاء"..... 43-71
المبحث الأول:الفنون والموضوعات التي تضمنتها الرسائل المتبادلة بين جبران ومي 47
1/الفنون..... 47
2/الموضوعات..... 53
أ/الأدبية والفكرية..... 53
ب/العاطفية..... 56
المبحث الثاني:الأدوار التي قامت بها الرسائل بين جبران ومي 60
أ/الدور الإخباري..... 60
ب/الدور الفكري..... 60
ج/الدور العاطفي..... 61
المبحث الثالث:الأساليب الفنية الأدبية..... 63
أ/اللغة.....,,.... 63
ب/الخيال..... 67
ج/الواقع..... 68
د/الرومانسية..... 69
ه/العاطفة..... 70
خاتمة.....-
الملاحق.....-
قائمة المصادر والمراجع.....-
فهرس المحتويات.....-